موت امرأة

بقلم : لويس كالافير

ترجمة : عبدالمعين الملوحي

نشرت في مجلة الاديب العدد ٣ ـ السنة ـ ١٤ ـ اذار ١٩٥٥

العنكبوت تنسج غزلها وترتقب صيدها ، انها تعرف غريزيا ان كل حياة هي فيحاجة اليها لتعيش ،سوف تأتي اليها ذات يوم ، فتقع في شباكها وتقاسي ما تقاسي من آلام وتضطرب وتتململ تحاول الخلاص وتقاوم قليلا ثم لا تلبث ان تستسلم وتحتضر وتتغذى العنكبوت من احتضارها .

اليوم قدم اليزميلي الدكتور فوكوتييه ، قدم الي ما بقي منها ، سرير ذو بلل ، عرق انفاس متقطعة . الم بطيء طويل عسير . اختناقات متقاربة تزداد كلما طال بك الزمن واعان المرض عليك . انا اعرف ذلك كله ، مهنتي قائمة على معرفة ذلك كله .

الان عدت من عيادة اخر مريض عندي، عدت الى مكتبي واذا فوكوتييه يدعوني .
ـ ما رأيك يا فوكوتييه ؟
ـ لم أهتف بك الا وقد انتهت الحكاية .
ـ أفي هذا المساء ؟
ـ قد تتأخر الى غد ،ولن تتأخر اكثر من ذلك . تتبعت مرضها منذ سنتين اثنتين تتبعا منظمابذلت كل ما أملك من جهد ، وأنت تعرفني ولكن المرض كان جد سريع . لقد وجد ارضا خصبة قابلة للسل ففتك بها وعسر علينا ايقافه . انني أحتفظ بتذاكر المرض منذ بدايته .
ـ أعرف ذلك .
ـ ولست اجد في ذلك ما يبررني تبريرا كافيا . لا أعلمك شيئا انت لا تعلمه . ومع ذلك ، ربما كان تغيير الهواء ، وتبديل المكان امرين ضروريين ومن يدري من من ذلك على يقين ؟
ـ صحيح .
ـ ولكنها لم ترغب في ترك باريس ، وكان المرض يتفاقم في سرعة ، وتبددت امالنا في الشفاء . حقا ..
وصمتنا ..

لم يكن فوكوتييه من اطباء هذا العصر . كان كل اخفاق يصيبه في طبه قضية شخصية تقلقه وتثيره وهو عندئذ في حاجة الى زملاء يعللون اخفاقه

ويطمئنونه الى ان تشخيصه للمرض وعلاجه له كانا صحيحين سليمين . كان يلقي على غيره شكوكه . وكم من مرة هتف لي في مثل هذه الاحوال يسألني رأيي .

وهو الان يحدثني عنك ، واعجب أني
- وأنا أسمعه - ما أزال طبيبا يستشار في أمر مريض غريب .
- منذ يومين اعطيتها " المورفين " .. يا لها من كلمة واضحة الدلالة فيها نذير .

وحدثني عنك ايضا ، عن العوارض التي أزعجته ، وعن التشخيص الاولي للمرض وعن علاجه ، وعن سيره سيرا عجلان ، وامتد هذا الحوار في الهاتف طويلا ، وهو لا يجرؤ على الوصول الى ما هو اساسي عنده الى ما يقبض على قلبه ويحاول ان يقوله لي ويخبرني به .
وما عساني ان يهمني شرح مقدار عنايته في تلكما السنتين اللتين لم تكوني فيهما لي ؟
سأراك يا جنفييف ، وأنت ما تزالين تعيشين .. وهذا حسن.

ان فوكوتيية ليسعى على الخصوص لكي أعلم أنك منذ لزمت فراشك ، لم يزرك أحد غيره . اذن فعشيقك يا جنفييف ، جنونك الجميل ، لم يقف قط على حافة سريرك ، وأنت مريضة ، وعلام يقف عليه في مرضك ما دام لا يستطيع ارواء شهوته . لعمري انه خبر عظيم لا يقدر بثمن .
- لو قدرت على السماح لنفسي بالتدخل لقلت لك ..
- تكلم فأنا أسمعك يا فوكوتييه. وتنحنح هناك في منزله وسعل وتردد امدا طويلا ثم قال :
- انها وحيدة .
انه يشفق عليك ، وهذا ما يزعجني .
- نعم ان عندها عجوزا تسهر عليها . . وتستطيع الاطمئنان اليها في تقديم ما تحتاج اليه من عون ..
ولكن..
ماذا ؟
- لا تؤاخذني على صراحتي .. انها مسألة جد خصوصية .. وأنا أعرف ذلك .. ذلك الشخص غير موجود .. لم يأت الا مرة عند بدء المرض .. وعلمت انه ازاح عن صدره عبئا ثقيلا حين استطاع اخيرا ان يتجرأ فيتكلم .
- هل رأيته ؟
- نعم .. نعم .. مرة واحدة . مرة واحدة .. أؤكد لك .

يخيل الي أنه يطلب مني ان أسامحك ولقد سلك في أفهامي أنك وحيدة طريقة فيها كثير من السذاجة والطفولة ، لقد رنت في كلماته لهجة طفل يعد أبويه الا يعود الى ارتكاب ذنبه مرة ثانية .
- هل فهمت قصدي حين قلت لك ما قلت ؟ هل فهمت ..؟
- نعم يا فوكوتييه .. ليس ما يدعو الى اعتذارك .
- نحن صديقان ، وصداقتنا قديمة ..وهي التي دفعتني .
- صحيح ..

انه يجمجم ولا يبين ، ويلمح ولا يصرح ،وهويريد مني أن أزورك ، انها لزيارة تحمل الي ندمك وتحمل اليك عفوي

ما أطيب هذا الشيخ .. أتراه يستطيع أن يدرك أني لا أعيش منذ ثلاث سنوات بعد فراقك الا في ترقب لقائك .. الحق أني لم أتصور هذه الظروف الحاضرة التي تحيط اليوم بتلاقينا ولكني كنت على يقين أننا سوف نلتقي ، كنت ادرك ذلك ، ادراكا غريزيا ، وانك ستدفعين عندئذ ثمن هجرك لي غاليا يا جنفييف .

وهكذا تدفع النساء دائما ثمن أبسط ما يختلج في نفوسهن من رغبات ، وأقل ما يعترض سلوكهن من نزعات . ألسن دائما ملزمات بأداء الحساب عما يتمتعن به من لذة ، او يمتعن به الرجال .. ؟ لقد جعلتني مهنتي أشهد كل ما لاتزال الامومة تضيفه وتزيده على ذلك الدين الثقيل الغريب .
- أأنت ذاهب ..؟
- نعم سأذهب .
- لا تتأخر .
- سأذهب هذا المساء .
- اذن فسأعطيك العنوان .

أما أن يعطيني عنوان منزلك صديق عنوان منزلك انت التي طالما أحببتها ، الا أن هذه الاشياء الصغيرة التي نلتقيها عرضا كافية لاثارة كل ما كان عسيرا على قلبي مريرا في فمي .

- الممرضة تفتح لك الباب .. سوف أخبرها.
- نعم أخبرها .
- أحقا سوف تراها ؟
- نعم سأذهب يا فوكوتييه.

وهكذا طمأنته مرة اخرى .

أن فوكوتييه من هؤلاء الناس الذين جعلهم الاحتكاك الخشن بالحياة اليومية يكدسون في أنفسهم رويدا رويدا شكلا من اشكال الاندفاع الوطيد الكريم يبثعه في قلوبهم ايمان كامل مطلق . وهم ينحنون أحيانا أمام تصرفات فيها شيء من الطيبة الظاهرية ويشعرون اذا شهدوها انك قد اشتريتهم فأغليت أثمانهم .

– الممرضة تستطيع أن تتركَكما وحدكما اذا شئت .. ما دمت ستكون انت الذي يعني بها .

– حسنا .. قل لها ذلك.

– أوه .. انها ليست في حاجة الا الى الابر عند النوبات .

حقا ان انفعال هذا الرجل يصنع صنيعه في صوته ، لقد أصبحت عنده أكثر من مريضة عادية . انه متعلق بك ، لقد حزرت هنا خطوات أقدامك يا جنفييف ، أثر أغوائك..

– أتريد أن أمر فأخبرها ؟ لعل ذلك أن يكون ..

– كلا .

– كما تشاء .

– قل لي الحق يا فوكوتييه .. أهي التي طلبت منك أن تهتف بي هذا المساء ؟

– كلا .. أصدقك النبأ .. لقد ظننت .

– أحسنت .. وأشكرك .

– لا شكر على واجب .. لا شكر على واجب ..

ولكني ارجوك ان تتلطف فتخبرني اذا حدث حادث .

– أعدك بذلك .

– الى اللقاء .

يا جنفييف .. لقد اوقعت في حبائلك رجلا اخر اضفته الى من وقع فيها من قبل ، فوكوتييه .. هذا العجوز .. ان النصر الاخير تحققه امرأة محتضرة ، هل استطعت ان تعرفي ذلك .. هل استطعت أن تتمتعي بهذا النصر ؟ يا له من عاشق مضحك كان يكون لو أن صحتك اتاحت لك ان تعبثي به .

اليوم لم أفكر فيك على غير عادتي في سائر الايام .. وها انت ذي يلقى بك الي .. لست أستطيع أن اعرف سلفا كيف سيتم هذا الامر ، ولكني وأنا أفكر فيه احيانا يخيل الي انه سيرضيني كل الرضا ، ومع ذلك فأنا لا اشعر الا بالاعياء وحده في هذا المساء .. ان ذلك الذي نرغب فيه رغبة جامحة ثم لا نصل اليه يذبل زهره ويفقد طعمه حين نصل اليه .

أنت منذ بضعة أشهر على الاقل في باريس ، وعلى مسافة لا تبلغ ساعة مني ، على مسافة لا تبلغ ساعة من هذا المكتب الحزين الشقي الذي أعددته لأعيش فيه عيشا دائما بعد أن هجرت المنزل كله واكتفيت بمكتبي فيه منذ فراقك .

أنا مثل العنكبوت في ثقبها المظلم ، تصونه وتراقب فيه ضحاياها الذين هم حياتها ثم تقفز عليهم قفزا ، أنا هنا أنتظرك دائما في ثقة ، ويعينني على طويل انتظاري ما يتراءى لي من صور حياتنا الزوجية السعيدة السالفة .. هذه الحياة التي تمزقت اربا اربا .. لقد كانت وحدتي حبلى بهذه الصور السعيدة بعد ساعة سأكون عندك يا جنفييف .. امام عينيك .. ستنظرين الي وسوف تعرفينني .. وتخافين قليلا من زيارتي المفاجئة .. لقد عشنا معا خمس سنوات كاملات .. ولن تستطيعي نسيان ما قاسيته من أجلك بعد فراقك .. وأنت التي جعلتني أقاسيه راضية راغبة .. عليك أن تقبلي وجودي مرة أخرى ، عليك أن تعيشي معي الان – كما رضيت ذات يوم . الى ذلك النفس الاخير الذي تطلقينه ثم لاتقدرين على مثله ، وجهي أنا سيكون آخر وجه ترينه . وأني لأحسب أنك أصبحت منذ زمن لاتحتملين ملامح هذا الوجه الكئيب . وأغلب الظن اني سأبحث عن شيء يدفعني الى كرهك فلا أجده ، وأغلب الظن أنك لن تبالي لي مادام قد هجرك عشيقك ان اخلاص المرء في عاطفته ينغص عليه حياته ، ومع ذلك فهو يحمل ثمرا جنيا لا نجد مثله في غيره ، وأنك لتستبدل بحلاوة الحب مرارة الخيبة ولوعة الحزن .

قد كان يمكن ان تموتي في غرفتك هذه الداخلية في منزلنا هذا ولو حدث ذلك لسحقني الهم وهدني الاسى ، ولكنك لن تموتي في هذه الغرفة ، في غرفة مجهولة لا أعرفها ، ولن يحمل موتك الى نفسي غير سلام أبدي ، سلام لا تعكره نوبات الاشفاق ، سلام ظفر مريح .

أن ما يحيط بنا يلقي طابعه على سجايانا ، ولو ذهبت فقد لا أعود الى هذا المنزل ، الى هذا العش الذي بنيته لأنتظرك فيه فأضاع اليوم كل ما كان يبرر وجوده ..

المطر في بطء يتدحرج فوق باريس، وقد جعد وجهها الشتاء ، ونامت تحت لحاف من الثلج ، طالما وقفنا معا انا وأنت أمام هذه النافذة في مكتبي ننعم النظر الى المساء وهو يأكل المدينة لقمة بعد لقمة ويذوب في الشوارع شارعا بعد شارع ، وقد اختلجت ظلالها في غبش الظلام . وأنا أضمك الى صدري ونظل هكذا متعانقين أمدا طويلا ، لا ننبس ببنت شفة .. تغمرنا السعادة والطمأنينة .. وضوضاء الشارع تتسلل الينا مصفاة من ثقوب النوافذ كأنها تريد ان تجعلنا أكثر شعورا بهذه الطمأنينة الوادعة التي نتيه فيها كلانا .

وأرى الغسق يدق معاني وجهك ويعكرها ، والاضواء في الشارع تتسرب واحدا بعد واحد خلال الزجاج فتبلغ عينيك وتلقي عليها شرارة من نار ، وتحت أصابعي شعرات مجنونات من غدائرك أعبث بها وحرارة جلدك الصغيرة تلهبها . يكفي وقد أسندت رأسك الى رأسي أن أمده قليلا فألمس شفتيك ، زوايا شفتيك ..

كنت أعتقد انك تشاطرينني أفكاري وأطمئن الى أني أنا الوحيد بين الناس الذي يستطيع أن يهب لك ذلك الحدب الطويل الذي ضحيت في سبيله كل شيء .كان ذلك سهلا علي .. وكنت أحبك ، لم أطلب شيئا غير هذا الحب ، لم اطلب شيئا غير أن يطول بنا الى الابد أمد هذه اللحظات السعيدات التي تغنى فيها عواطفنا غنى وتفيض فيضا فتتجاوز أنفسها وتكاد تحملنا الى شعور الهي . أتذكرين ذلك ..؟ لقد حدثتك عنه ذات يوم ..
كنت فوق صدري وأنت صامتة ، فقولي لي، أية مسرات حديثة العهد كنت تسبحين فيها بخيالك ، وأنت التي عدت منذ زمن قصير مما كنت أظن انه ليس الا جولات في المدينة ،؟ والان ، وقد أضعت ثقتي بك فهل أستطيع ان أتذكر ساعة من ساعات سرورنا الماضي دون أن يدنسها الشك وتلطخها الظنون ؟ أن ذلك الذي كان عزيزا علينا ، حبيبا الينا ذات يوم أصبح الان يثير فينا الغضب ويجرح منا القلب .

ان خوفي من العودة الى ذلك الماضي الاليم قد دفعني آخر الامر الى ان أنكر ذاتي التي تعيش في ذاكرتي ،وعند ذلك فغر الفراغ المرعب فاه أمامي ، هذا الفراغ الذي لا أؤمن فيه بشيء .

وأنا الآن وحيد فريد وراء هذه النافذة من تحتي .. فوق هذا الرصيف الذي يغمره الطين تنبثق فجأة أشكال مختلفة من نور أبيض ، ثم لا تلبث أن تتوارى وتموت في العتمة القريبة لعلك مررت بهذا المكان مرات عديدة ثم لم تتطلعي الى هذه النافذة ، كأنك لم تقفي وراءها ،وهذه امرأة تمر الان ، لعلها سترتمي عما قريب في أحضان عشيق ثم لا يلبث هذا العشيق أن ينساها ، ولا يذكر موعدها وهي تنتظره في جنون .

طالما كرهت وجود هؤلاء النساء السعيدات اللواتي يتطلعن الى الرجال الذين يرافقونهن . اني لأرى على كل وجه من هذه الوجوه سيماء تشبه سيماءك .. سيماءك وانت تتمتعين بلذتك وتطفئين شهوتك في مكان ما من هذه المدينة ، أني لأكره هؤلاء النساء جميعا ، وهن يخطرن الى جانب الرجال في وضع عاشق ولهان . ان في هذا الوضع انعطافا جسديا تاما يحمل في غير حياء مسحة من التعارف العريان في غير هذا المكان وهكذا يفرض علي كل زوجين من الناس حقيقتك أنت ، الآن أرى رأس امرأة يرتد الى الوراء ليستقبل شفتين تغمرانه بالقبل ، لقد هاجني هذا المنظر وأزعجني فكأنه نصل يمزق صدري تمزيقا. للجسد ياجنفييف ألم قاتل شديد . انه يستنفذ منا أحسن غذائه. ثم لا نلبث ان نتغذى منه أنه لا يستطيع تقوية الحب الذي خلفه ولا يستطيع كذلك ان يضعفه .. انه لا يحل امرا ولا يربطه .. وليس لنا بعد الجسد الذي قطعنا تقطيعا الا الانتقام نلجأ اليه منه.

ولهذا ما زلت أعتقد ان المرضى مرضا خطيرا لا يموتون الا عند مطلع الفجر الاول ، سيكون لنا وحدنا يا جنفييف ، ليل كامل ، ولقد كان لزاما عليك ان تحلمي طويلا بتلك الليالي التي تلائم العشاق ، وتفتح صدورها للحب ، وهذه الليلة التي تنتظرنا لن تفتح صدرها الا لنا نحن الاثنين لتأوي اليها عقابيل حبنا ، وتوالي غرامنا ، يخيل الي اننا في هذه السنوات الماضيات لم نفعل غير امر واحد ، هو ان يمشي كل منا الى لقاء الاخر .. لقد انتظر كل منا صاحبه زمنا طويلا حتى ألفنا الانتظار ، وحتى لقد أعددنا العدة لانتظار اكثر طولا .

فأنا الآن أعجب عني وعنك من هذا اللقاء السريع ، أيتها المجنونة ها أنت هذه في آخر الشوط .. في آخر الشوط .. ثم أنت وحيدة .. ولكن لن تبقي وحيدة هذه الليلة .. أنا ذاهب اليك ..

لقد أحيا مرضك حبنا ولم يفقره ، ما أسهل ما نستسلم للاحلام ، اننا نساق بعواطفنا حتى حين تكون هذه العواطف أعنف ما تكون ، أقل مما نساق بتمثيلنا لها تمثيلنا لها تمثيلا يقوم على تهويل احساساتنا .

أعرف ذلك الآن وقد وقعت تحت رحمتي ، لقد كان علي أن أهرع اليك فورا بعد دعوة فوكوتييه ولكن ها أنذا أرجىء من دقيقة الى أخرى موعد زيارتي لك ، أن الزمن هنا يبين لنا طرفنا .

لو كان باستطاعتي أن ألقاك في الاسابيع الاولى التي تلت رحيلك لأسرعت اسراعا . كنت أنتظر هذا اللقاء ، ليس في مقدور شيء أن يحول بيني وبين أن أهوي هويا الى موعدك . في منزل صديق أعرف أنك تزورينه ، لم تبد لي منزلة من منازل التنازل عن الكبرياء أمرا أحتقره في ذلك العهد . الحمى تأكلني وأنا أطوف في المدينة أبحث عنك . تلك الشوارع التي تؤثرينها بالزيارة قطعتها شارعا شارعا .. وفجأة أستبد بي جنون غريب ، قد تكونين قريبة مني .. وهكذا جعلت أركض معجلا من شارع الى شارع ثم لا ألبث أن أعود الى الشارع الذي تركته .. ثم أمضي بعيدا عنه .. الساحات والطرقات والارصفة ذرعتها ذرعا أبحث عن خيالك في كل مكان .. أمامي وورائي، أتمسك بشكل من الاشكال .. أتشبث بثوب من الاثواب أقف في كل زاوية .. أنتصب في كل منعطف .. ربما كنت في هذا الشارع الجديد .. المدينة كابوس ثقيل، والمخازن الكبرى التي كنت كثيرا ما تزورينها مضيت اليها ونبشتها نبشا ، كنت أركض خشية أن يضيع علي الوقت أركض لاربح دقيقة عزيزة ، ولكني لم أجدك .. أين أنت يا جنفييف ؟ كنت على يقين من أني سأراك هناك في خارج المنزل ولم أدر سببا لهذا اليقين ، لم يكن لي حظ في النجاح أكثر من واحد في ألف ، وبكيت يا جنفييف حين عجزت ، بكيت ولم أمسح دموعي .. وما يهمني أن يرى الناس هذه الدموع ؟ كانوا يمرون بي ويديرون رؤوسهم الي ثم يمضون عني .. لقد انتظرتك ذات مرة يوما كاملا وأنا واقف عند منعطف أنقب بنظري جماهير الناس هناك . خيل الي ، بل هبط علي وحي يؤكد لي أنك ستمرين من هنا حتما ، ووقفت أنتظر حقا انه انتظار معقول ، لم أكن أتبين ما اتخيله مما أعيشه ولا ما اتصوره مما أقع فيه .. وهبط علي الليل ولمعت باريس وشعت فيها أنوار غريبة مسحورة .. والاماكن التي تحبينها في باريس ذهبت اليها ، هذا المعقد في قلب الغابة مقعدنا .. لقد جلسنا فوقه بعد ظهر يوم من الايام وحيدين يرشنا رذاذ خفيف ناعم ، كانت قطرات المطر الصغيرات النديات تغبش وجهك وقد أحاط به منديل كبير ابيض انا الذي اهديته لك ، والارض من حولنا تتنفس بخارا ناعما ، وشمس الصيف القريب ما تزال تدفئها . لقد عدنا الى هذا المقعد مرات بعد ذلك ، وكنت تذكرين جلستنا تلك الاولى في كل مرة وتمدين الي يدك لأقبلها جزاء تلك الذكرى ومطعمنا ذلك الصامت الهادىء في سيغر بابيلون .. طالما التقينا فيه بعد احتضار النهار وجلسنا على مقعده ذلك الاخضر المستلقي في صدر القاعة العريضة الغارقة في الانوار ، كنت أصل اليه قبلك لأتمتع برؤيتك وأنت تدفعين الباب الثقيل اللفاف وتدخلين وتبحثين عني بعينيك ، ثم ترينني فتبتسمين وتمشين الي وتجلسين الى جانبي وتمدين الي شفتيك في ذهول ، وتحدثينني عن يومك ذاك وكيف قضيته ، وعن جولاتك تلك في باريس وكيف تمتعت بها ، وتنثرين فوق المنضدة أكداسا من الاكياس فيها هذه الاشياء ، التي لا تجدي ، والتي تحبها النساء مع ذلك حبا جما ، وأنا لا أصغي اليك ولكني ألمح في عينيك تلك الحركة السعيدة الراضية ، هذه الاستعراضة الطويلة للذات الصغيرة . وكان ذلك حسبي منك يا جنفييف ،ولعمري ان ذلك لعجيب .

كنا نعود سيرا على الاقدام في ذلك الشارع الكبير ، ويدك في يدي اعصرها عصرا وانت ما تزالين تقصين على ما لانهاية له من المغامرات الصغيرة غير الخطيرة ، وهناك دائما نزاع مع بائعة واسعار كان ينبغي ان تنقصيها ، وشيء ثمين راغبة فيه ولكنك لم تشتريه وأنا بعد قليل مقدمه اليك ، صوتك هو الذي كنت أحبه وأنت تتكلمين .

يا جنفييف ..

لقد جعلني حزني على غيابك تائها هيمان لا أحس ولا أشعر ، لست أجد شيئا

آتشبث به وقد خسرتك ، وكل يوم جديد لا القاك فيه يجدد لي ما نسيته أمس ، والخوف من تطاول الهجر يزداد ويزداد ، وثمن عودتك الي يرتفع وانا له خاضع خضوعا اعمى ، لا يشغلني غير شاغل واحد صحيح صادق ان تعودي الي ، وان تبدأ حياتنا من جديد في معزل عن حماقات أنا ارتكبتها ، وخطيئات أنا مسؤول عنها ، وأن أغفر لك أيام فرارك ، هذه الايام التي أضعناها من عمرنا القصير ، أن مهزلة حياتي تقوم على عدم ادراكي مدى ما في هجرك لي من معنى ، كل شيء أقبله عند غيابك ، ان هذا الهجر يستبد .ي ويملك علي سبلي ، ويجردني من سلاحي في الدفاع عن نفسي ويهدم سلفا تلك الوثبات النادرة التي يثبها بي العقل

كان أصدقائي يعرفون عنادي .. يعرفون اني لا أقبل أبدا أن أنحدر الى وهدة المساومة وحضيض النهزة ، ولكني أصبحت أمامك مستعدا لكل خضوع مثير ، ونفوري بعد ذلك ناتج من اثارة من خجل أشعر به في هذه الدناءة العابرة التي قدتني اليها ورميتني في واديها ،ما دمت أعتقد أن ما تزال بيننا على كل حال روابط مشتركة تصل بيننا ، وأنك ، رغم بعدك عني ، لا تستطيعين ان تعيشي سعيدة هانئة ما بقيت لك منتظرا ، وأنا لا يمكن ان ينهار حبنا انهيارا فلا تبقى منه بقية .

كنت أرتكس في ضعف من بعده ضعف يملك وحده قيادي ، وكنت في حاجة الى ذرحة من الزمن لكي ارى مقدار ما اصيبت به احلامي واماني من تهدم سريع ، ولكني كنت مشغولا بحبك وحده عن ملاحظة ما يجري حولي ، وانه حب حملته لك أمدا طويلا ثم لم اشعر مرة انه اصابه ضعف او وهن . وحبي هذا العميق الوطيد ألهاني عن ادراك خداعك ، كنت ارى كل ما هو عزيز عليك ذا صورة واحدة ووجه واحد لم ار له قط صورا شتى ولا وجوها مختلفة ، ولست أستطيع رفضه الا اذا تمضت امدا طويلا وراء أعذار لا تجدي ولا تفيد ، لم يخطر في بالي لحظة واحدة ان أشك فيما كانت تخفيه عيناك الصوفيتان السوداوان حين تقتربين مني كل مساء . كان وجودك الى جانبي يطمئنني ، ما أبعد الاكذوبة عن هذا الوجه المليح الذي ما يزال يغمده بخار الطفولة .. يا عاهرة ..

ان خداع المرء من يثق به امر جد يسير ، يسير الى حد يجب علينا فيه أن نجده ثقيلا سمجا ، وأصعب علي من حبي الذي فقدته أن أفقد احترامي واعجابي وتقديري لتلك التي احترمتها وأعجبتها بها وقدرتها تقديرا . ولعمري ان هذه الالوان من العواطف هي التي دفعتني اليك وأقامت في نفسي هيامي بك وغرامي [illegible] أنت ، لا أعتقد ان ليس في الحياة شيء أكثر مرارة على النفس وأشد خيبة في القلب مثل أن يعرف المرء أن من يحبه ليس ملاكا وانما هو انسان عادي تافه ، خمس سنوات من الحياة ، خمس سنوات من حياتنا لم تنته الا الى مصير واحد ، الغش والخديعة ..

ما أفقر الحب المنهزم المغلوب على أمره ، انه مفعم بالحزن النحيل على اشياء لم تتم ، مفعم بالاسف على ما كان يمكن أن يكون بديلا منه ، مفعم بالالم الخانق مما لا يجدي ، وكل ما كان به متصلا يبدو الان كئيبا حزينا ، ثم يأتي دور الندامة ، وها أنذا الان اكره فيك تلك الهفوات الصغيرات ، وكنت أمس أتذوقها ساخرا وها أنذا الان أنكر فيك كل ما كان أمس يستهويني ، والامور الطبيعية المألوفة في كل انسان والتي لا تزعج أحدا بدت لي الان فجأة وقد شغلت كياني كله ، ما أكثر ما نغضب لأننا نرثي كثيرا للناس ونشفق عليهم ونعفو عنهم ، وغضبنا رغم عنفه يعرف حق المعرفة أن حناننا ما يزال كما كان حيا لا يموت ، وما أكثر ما نبذل من مهارة لنستر هذا الحنان تحت ستار من المرارة المصطنعة فلا تجدي في اخفاء هذا الحنان وتغطيه ذلك الحب ، ان الحب يرافق القلب انى اتجه .

الليل منقوس كالقطن فوق زجاج النافذة ، انه يتسرب منها ويأتي فيخدش جدران هذا المكتب ثم يغطيها ، أمس في مثل هذه الساعة ذهبت الى المطعم الصغير القريب لأتناول طعام العشاء ، وجدت فيه حول المناضد البسيطة ، تحت ذلك الضوء الخافت ، رؤوس أولئك الرجال أنفسهم ، وأولئك العجائز المتوحدات أنفسهن ..

لقد اطلعتنا بعض المجاملات المهذبة والعبارات الصغيرة التافهة القائمة على حياتنا وعرف بعضنا بعضا شيئا بعد شيء ، لن يراني هؤلاء الناس هذا المساء ، وسيكون غيابي موضوعا

للحديث بينهم .. لقد سرهم ان يجدوا موضوعا مشتركا عرض لهم فكان رحمة منزلة .. انه اثاث يملأ فراغ الوقت الذي يقضيه هؤلاء المعتزلة في عشائهم ، لقد اهمني امرهم ، نعم ، وحفظت قيافتهم وعرفت اذواقهم ومواطن ضعفهم وارائهم ومهنهم واحدا واحدا ، من ذا الذي لا ينتظر في حفاوة هذه اللحظة التي تجمعنا عند كل مساء ؟ أنها ساعة لا تساوي شيئاومع ذلك فانا اول من يحرص عليهاويتمسك بها ، الرجل الوحيد المهجور تنفعه التسلية اليسيرة الصغيرة ، انه يجد فيها نفسه ويصل خلال لحظة من اللحظات بينها وبين ما هي اهل له من مرح وفرح ، وهؤلاء الغرباء البعداء هم وحدهم الذين يسألونني عن صحتي ، ويحدثونني عن الحوادث اليومية .. هذه التوافه الحقيرة تمسكنا بالحياة ، نعم أنناننكرها عابسين متهجمين ، ومع ذلك فهي تدفعنا الىالاستمرار في التحدث عنهاوالى اكتشاف أمثالها ، انني لا اشاطرهم صادقا مخلصا مافي حياتهم من مزعجات صغيرة وآمال ناعمة . ولقد توطدت بيننا ألفة حارة بسيطة كنت أحسبها بادىء ذي بدء مضحكة ، وها هي ذي وقد أصبحت اليوم عندي وعندهم امرا لايستغني عنه واحد منا ، وطالما سرنا ان يدخل دائرتنا زبون جديد نكتشف حياته المجهولة ونعرفها ثم نحفظها ، في هذا الترداد المعاد كل مساء ما هو عادي تافه ولكن فيه ما هو انساني طيب، لقد كان لي شيء غير هذا فضاع .

وأنا الذي كنت اعرف دائما كيف أنتقي لك السهرات الرائعات والجولات الناعمات ، أنا الذي كنت أنقب لك عن ساعات طيبات أقدمها اليك لأرضي فيك ذوق الفتاة التي يسرها ان تظهر ، وان تظهر مثيرة لاعجاب الناس، مستأثرة بالتفاتهم ، انا الذي كنت اتحرى في وجهك ملامح الرضا وخطرات الارتياح السريعة ، أصبحت منذ سنوات جليس هذا المعطم الصغير المتواضع ، يدخل فيحيي الناس الجالسين المضحكين ، ويخترق القاعة الضيقة ويتناول من على الرف الخشبي منديله المعقود ، ويبتسم للخادم التيتدور حوله وتسعى في مرضاته ، ويجلس علىالمائدة نفسها كل مساء ، أنا أعرف أني اذا رفعت عيني وأنا آكل ، فسوف أرى حتما ذلك الشاب النحيل الاصفر وقد ادخر لي ابتسامة ليس لها معنى ، نعم انها لكذلك ومع ذلك فأنا أردها له .

وهكذا نتبادل صداقة غامضة تبحث لها عن مكان ، ولطفا غائما يفتش له عن موضع ، ما اكثر ما تسخرين من هذا كله يا جنفييف ..

انالاشياء غادرة بنا غير وفية لنا .. غدا يأتي غيري الى هذا المطعم ويجلس الى هذه المنضدة الفارغة .. وها انذا اترك مكتبي وراء ظهري وادخل منزلي المهجور ، لقد كان من الممكن ان يكون ذلك المركب الكبير الضائع في البحار ، لم أدخل هذه الغرف منذ شهور ، ما تزال اكثر ذكرياتي عاطفة وأرقها احساسا تغوص في رمال هذه الغرف وغبارها ، لقد كنت ادفع ابوابها دفعا اما الان فانا ابعجها بعجا ..

الغبار رائحته الواخزة الرخوة المغلق والرطب ، الجو الناعم يلقي عليه ستار من هدوء ثقيل لا يرى نسجه الهجر شيئا فشيئا .. ان وراء هذا الصمت يتوارى الاحترام ويكمن العطف ، للاماكن حنينها الى الناس كما للناس حنينهم الى الاماكن ، وكلا الحنينين قوى شديد ، لم يتحرك هنا منذ غيابك شيء من الاشياء الاثاث والدهان والسجاد والاشياء ، كل ذلك الذي يعيش في غنى عنا والذي لا يتعلق بنا الابمقدار ما أنفقنا من جهد في سبيل تملكه ، في سبيل اقتناء هذه الثروات الزائفة .

وأشياؤك الخصوصية ما تزال هنا ، تعالي وانظري اليها تجديها كلها كما تركتها ، قوارير عطرك ، وفرشاتك ، واسفاطك ومراياك ، أنهن لم يعرفنك قط ولم ينسينك قط ، لقد رأيتهن اول الامر مثل صورتك عزيزات مخيفات ، وخيل الي ان فيهن اثرا منك ، من وجودك الماضي ، وطالما جعلتهن شاهدات على ما أنفقت من جهد لم ينقطع في البحث عنك ، كنت اوهم نفسي وأخدعها بهن طائعا مختارا اما الان فأنا لا أضمهن ضمات عنيفة عاطفية كما كنت افعل من قبل ، انهن الان غريبات عني ، أجنبيات علي وها انذا امسك بهن الان واغير مواضعهن وأنقلهن وكأني بذلك اريد انأثبت وجودي الجديد فأفسد كل ذلك النظام الذي هو نظامك والذي احترمته فلم أغير فيه شيئا حتى يومنا هذا .

وها هي ذي اشياؤك تستعيد فجأة مهمتها السالفة ، وهي مهمة نفعية

عملية .. اشياء مثل سائر اشياء الناس ، امشاطك وقواريرك ومراياك لسن اليوم حاملات مأساتنا الصغيرة .. ان هذا يطمئنني يا جنفييف .. وهكذا يقيس الناس الحب بمثل هذه الدلائل .. لقد كنت أتجنب آثارك أما الآن فأنا أجرؤ فألمسهن لمسا .. لا اريد ان اجدك هذه الليلة في غرفة مجهولة لا أعرفها ، في غرفة غير غرفتك هذه ، الخاصة ، وكيف يجوز لنا أن ننسى ان كل حب وهو ينمو ويترعرع يغفو في احضانه سلفا كل ما للتسامح من ألوان وما للنسيان من شكوك ، الحب يحمل في ذاته المغفرة ، وهو من أجل هذا الغنى ضروري لنا في أوله لانه يرهقنا وحده اذا لم يحمل معه تسامحه ولا سيما حين نأبى ان ننساه .

وانا لم انس شيئا ..

والخشب ، تحت السجادة ، يطقطق ويتعجب كيف يمشي عليه واحد من الناس ، وفي صدر غرفتك في الظل تنتصب الخزانة الكبيرة التي شهدت أشد الامي ايجاعا في الاسابيع الاولى التي غبت فيها ، انها تنتصب وترتقب ، ها هي ذي تتفتح ابوابها على كل تلك الثياب الملونة التي لفت وجملت جسدك الطري الفتي ، هذه هي الاثواب الناعمة التي كانت تمسها يداك الناعمتان ، انا أدغدها وأجمشها ، صبري يفرغ وينفذ طالما دللتها ايام حبنا ، لقد كانت تعرف حق المعرفة كيف تراقص أمام عيني ما نتفق عليه من سهرات وتعرف كيف تخترع وتوقظ خصوصياتنا الصغيرة المثيرة ، ولقد عرفت أكثر من ذلك كيف تتساقط عنك وتظهرك عريانة .. كنت أزورها كل يوم كما يزور الحجاج الاتقياء قبور الاولياء .. ولكن الفرق بعيد بين ما توحيه الزيارتان ، ان يرد التراب وجمود القبر يوحيان الى ذلك الذي راعه موت حبيبه مفهوما غامضا لهذا القدر المتسلط علينا المتحكم بنا واجلالا تاما لهدوء الموت ، اما هذه الاشياء الناعمة الملساء فلم تمض بي الا طرقات حياتنا اللحمية الشيقة ، الى ذكريات الجسد ..

كانت لنا ليال نصفها جنون ، او هي نصف جنون..
ها أنذا الان أفتح هذه الخزانة العميقة الحرير يتموج هناك يا للظلال الامينة المخلصة ، ما أكثر ما أحتفظ به منك .. ماذا تخفي وراء تموجها وترجحها لقد اعادتها الى الحياة لمسة واحدة من يدي حقا انها ذات حياة ، انها تعرف تحت يدي كيف تتمدد وتتقلص وتنبعج وتتفتح ، لقد رأيت فيها تلك اللدونة التي كانت تهبها لها مشيتك عندما تدورين نصف دورة في مكانك فيتكور الحرير فوق ركبتيك وأشعر فيما حولي باهتزازات خفيفة رقيقة ، ان ذراعي لتجد ، وهي تمسك بهذه الجثث المتحركة ، ذلك الاصرار الطويل الذي كانت تنفقه وهي تهصر قوامك..

وها انذا الان ألقي جسدي كله عليها وأنا مجنون يا جنفييف ، خرقة أتشنج على شبهات امرأة ، أحشو القماش في فمي وامرته بشفتي ، وعطرك ما يزال يفوح ويموت .. وأطمر رأسي في هذا الثوب الفارغ ، وأدحرج جسدي على ذلك القماش وليس فيه جسد ، واحاول في الحاح ان التقط من هنا وهناك اثرا من اثار لذة قديمة معروفة ، قبلات لا تجدي ، واصابع تحلم وتظن انها قابضة على اجسام لا على اوهام — .. هنا تجد الذكريات دعاماتها واسسها ، وهي هنا واضحة بينة لا تطاق ، تثير ابعد الصور وأقصى الاخيلة هذا ضوء تحمله الذكريات من غرفتك، الظلال الغامقة تغمر اجزاء من جسدك المتمدد على السرير وهناك خيط طويل من النور يتموج وينثني كما ينثني قوامك وروائح زكية تعبق في الغرفة ، الحركات والكلمات ، شفتاك وقد انفتحتا وتمطتا ، وعيناك مغمضتان نصف اغماضة في حنان ، وقميصك الرخص سريع العطب ، وفي ثنايا الثياب أكتشف هنا امتداد ذراع وهناك مسيل كتف وهنالك التفاف ساق ، وفي بعض التتواءات رقة نحر ودقة خصر ، كم من احساس تألقه حواسنا يختبيء بين عواطف سليمة ، الآن يستعيد كل شيء من أشكال الثوب مغزاه ، ويشيد مرة اخرى بناء تلك الايام ، وكنت أظن انه خالد لا ينهار ..

كنت اخرج من امثال هذه الزيارات وقد تقصم ظهري ، خجلان معترا ، واكثر جنونا من ذي قبل ، ولكني اشعر مع ذلك ان في اعصابي موجة من شبح مخيف ، من تخمة هائلة انتزعها من اللحم انتزاعا

وكانت لي ليال فيها امل لا استطيع تفسيره ، كنت اقوم باعداد معطفك فأضعه فوق كرسي ، الان أتلقى منك دعوة هاتفية ولا يجوز ان اضيع عندئذ دقيقة واحدة ، أقفز الى السيارة قفزا وأهرع الى لقائك .. ما أكثر ما للمطل من ألوان،

وما اكثر مافي الوان هذا المطل من غباء .

اذا عددت الى المائتين كلمتك جنفييف في الهاتف .

ليس في العواطف عاطفة اقدر على الوحدة من الامل ، وها انذا الان اعد مائتين عدا بطيئا ، وأنتظر ثانية واحدة .. ثانية ثالثة .. آه من الهاتف ومن لكه الاسود .. ومن صمته الذي انتظر من ورائه كل ما هو خير .. والسجاير ، وتبديدها .. والنور على المنضدة .. وحل أصفر والمساطر والاقلام والدوى .. اخطها ثم أدمغها ثم افرقها واعيدها الى امكنتها .. لكأن فيها جزءا من اسطورتنا نحن بني الانسان .. والبناء ترن فيه اخر الاصداء والحركات .. والاصوات تغدو مهموسة ثم تخرس .. والسيارات تنذر في الناس من تحت ثم تختفي .. الحياة نائمة وأنا سهران .. والصمت يحبل بالليل مالك قد تأخرت ولم تستدعيني ؟ صدري يتمزق اربا اربا .. ويتطاير شظايا .. وألقي بجسدي على الديوان .. واغمض عيني .. وأشد قبضتي على اللحاف الكبير ، انه ليس وحده .. ويخيل الي انك في هذه الساعة تهبين لغيري تلك اللذاذات — الصغيرة من الغنج والفتنة .. تلك اللذاذات التي كنت انا اول من ذاقها وتمتع بها .

أن غيرتي مما يمكن ان يبقي لي من جسدك ، من الرضا الذي يمكن ان يحظى به رجل غيري ، أقل من غيرتي على ما لا استطيع وصفه من تزاويق تخترعينها وزينات تستحدثينها تضيفين عليها جميعا روحا خفيفة لطيفة .. ان الاجساد فيما بينها لا تتشابه في شيء قط اقل من مما تتشابه حين تصنع الحب ، وأنا أعرف تماما ما جسدك وخلجاته ، وما صوتك وجرسه ، وما عيناك ونظراتها وما ملامحك حين تدق وتعمق ، أعرف كل هذا الذي يوحيه اليك الحب ، ولكن ألم تفكري فيما يجره خداعك لي هذا النوع من الخداع ، أستطيع ان اعيد تركيب حياتك ساعة فساعة طوال نهار كامل ، طوال ليلة كاملة ، وليس علي من اجل ذلك الا ان اعرف علمي من ايامك الماضية .. كل ما تبادلناه معا امس تتبادلينه اليوم مع غيري ، ان الكائنات لا تتطور حسب هذا الذي يتلقاها او حسب ذلك ، ولكنها تمتد امتدادا وكفى .. يستطيع المرء ان يتنكر ولكن جلده يبقى هو جلده ، وما الذي استطعت ان تمتعي به سواي اليوم مما لم تمتعيني به امس اني لأراكما كليكما ..

أراكما الان وقد خرجتما من حفلة تمثيلية (وأنت تحبين السهرات البعيدة عن البيت) .. وعدتما في سيارة أنت تكومين نفسك كالاطفال فوق المقعد .. وهو يتلقى جسدك فوق كتفه وذراعه .. وقد ترتجفين أحيانا .. ولست ادري لماذا ترتجفين .. وترفعين عينيك وهو يتلقى ذلك البخار البطيء الذي يغطي نظرتك .. أنت جميلة يا جنفييف ، أنت جميلة جدا يا جنفييف .. وهولا يرى الاعلى وجهك الذي طوقته هالة من فروك الكبير وأنت تبتسمين وتردين رأسك قليلا الى وراء على مسند المقعد .. وهو يتلفت فيضم شعرك ضما مبهما ..
وتتفاهمان .. وكل ما في المدينة من اضواء ملونة تلتقي لحظة عند هذه السيارة وتمسك بها وتبلبل ظلها وأنت تشعرين أنك نائية محمية ، بعيدة المنال وأنت تقولين له :
— أنا اهزب من الوجود .. لا ارى الا الليل والا النور ..
وأنت تقولين له :
— أنا أترك نفسي محمولة الى نهاية هذا العالم والى تخوم هذا النور .
(لقد كان يسليني ان اشترك في عبثك هذا ، وأن أضع حلمك ذلك .. فهل هو مثلي ؟ هو ؟)

ومطاعم الليل تستهويكما .. وهو يدفع أمامك الباب الزجاجي العالي .. وأنتما تشعران حين تدخلان القاعات الغنية التي تغمرها الاضواء الهادئة المريحة بحرارة صماء طيبة يوحيها الى الجسد الرفاه والفخامة والمتعة . لقد بنى المال في كل مكان ملاجئه الهادئة وخلواته الوادعة .. والناس يرمقونك وأنت تدخلين ، وهم يطيلون النظر الى زينتك وقوامك ، وانت تمشين امامه بين الموائد ، وهويتبعك بعينيه ، وساقاك يرسمان خطا متكسرا ، وثوبك يتموج ذلك التموج الذي لا يوصف .. وهو يشتهيك فجأة .. وأنت تعرفين أنه يشتهيك ، والرجال على موائدهم يشتهونك كذلك ، وانت تعرفين انهم يشتهونك وان هذا الذي يجري وراءك يفاجئ نظرات الرجال اليك فتضفي على اضطرابه كبرياء من يعلم انك له ، انه يمتلك المرأة التي يحسدها الناس على جمالها لا تضيع منه شيئا ،

سترين ان هذه العيون المنقادة قسرا اليك سوف تدفعه الى ضمك ضما اشد قوة، وعصرك عصرا اكثر عنفا .. وانت لاتنسين هذه الالوان من الغنج والتثني، التي تضمن له فخره بك، ان هذه الخدمات الصغيرة التي تقدمها المصادفات التي تؤثر فيك وتعز عليك، ما اخطر الدور الذي تلعبه المهارة في حب المرأة، هذه الحركات نصف الارادية كنت أعشقها عشقا .. وهي الان تؤلمني وتزعجني .. من أين اتاك هذا الوجه الذي تديرينه الى وانت تجلسين ؟ من اية المواد صنع وجه هذه المرأة التي اجتازت منذ لحظة غمرة كل هذا الاكرام والاجلال والحفاوة ،؟ ولمن هذا الوجه يا ترى ؟ ألم تتخيلي الوان التجميل والمداعبة التي غمرتك بها شفاه هؤلاء الرجال الذين احاطوك بالاعجاب منذ لحظات ؟ الم تفكري في أيدي اولئك الرجال وقد امتدت اليك وطوقت خصرك من فوق المائدة، ان هذا التمام وذلك الثبات اللذين ظننا اننا ادركناهما في حبنا كانا خيانة دائبة دائمة، نحن نعيش مبتعدين في كل يوم عما هو نهائي، تجربتنا التي جربناها في أنفسنا تقودنا الى الشك، ان دفعات اليقين والاطمئنان تنبع من اللاشعور لامن الواقع ومن اجل ذلك ولا شك تضعف عواطفنا وتخمد حماستنا على مر الايام .

(كنت افكر وانا أجلس الى جانبك في غمرة الضوضاء واراقب القاعة الواسعة كنت افكر فيما سوف تنتهي اليه حياتنا الزوجية في السنوات المقبلة عندما تتساقط حماستنا وتهبط شهواتنا) ..

وتسأليني :

- فيم تفكر ؟

وأهز كتفي وأعصر يدك وأبتسم لك

- لا أفكر في شيء يا جنفييف .

- أأنت حزين ؟

- كلا .. أنا أفكر فيك ..

وتقتربين مني وأصابعك تضغط في يدي :

- أنا مسرورة .. أتعرف .. أنا سعيدة

ويدنو الغلام منا .

لقد اكتسب هؤلاء الخدم حفاوة مهنية .. وادركوا ان مثل هؤلاء الازواج كرام، وهم في فطنة يشيرون الى مائدة بعيدة عن الحركة . ام موقفهم المتآمر يوطد تلك الطمأنينة الهادئة، وهذه العزلة الرطبة التي يوفرها الجو النعسان، وأنت تضعين رأسك بين يديك مضموتين، وأنت تستمعين ذاهلة الى الوشوشات المضحكة التي يسرها في اذنيك حبيب لا عمل له غير السعي في مرضاتك، وتصلنا، ونحن نتعشى ازهار عزيزة في باقات رائعة في سلال بائعي الازهار الفقراء، وفيها تلك الباقة من الازهار التي تحبين ان اقدمها اليك بهذا الاصرار الناعم الذي ينفقه المحب في تدليله ومغازلته، وأرى هنالك وجهك وقد غلفه عطر الازاهير وفمك وقد خالطه شذاها .. وانه لشذا عزيز عليك لأن ذلك الرجل حاضر معك .. انه سيرافق رغم كل شيء ذكرياتك عنه ..

ألم اخطر في بالك مطلقا يا جنفييف ؟ ألم تذكريني يوما ياجنفييف لقد كانت سهراتنا ايضا حافلة في كل مرة بمثل هذه الباقة، ولكن هل تحب المرأة حبا روحيا عميقا ؟ أليست مشغولة دائما بمتعة القلب او بمتعة الجسد ..؟

وهناك ليال لا أجد فيها غير اصداء الغيرة .

أنا لا أستطيع ان انام وأذهب الى المكتبة وأفتح جرارها الذي يضم صورنا السابقة، ويقرع جرس الهاتف، وأرتجف وأهرع الى المنضدة وأقف أمام الالة وقد أسندت يدي الى طرف المنضدة الخشبية اناخائف، ما الذي اضن به في سبيل ان اسمع صوتك اخيرا .. ولكن لا : تلك موليا، او مبيريكو او زبون اخر .. يحملون أمراضا واوجاعا وحميات وخوفا من الموت .. ولم تبلغ بي الشجاعة حدا اقول فيه لواحد منهم كلمة لطيفة . .. كلمة عزاء وانا اعيد الهاتف الى مقره .

الثلج يقرع جليد الليل، وينقر الظلام بندف أبيض صغير لا تكاد نراه وتلك العاصفة المبطئة المنتظرة على الشوارع سحابة من العذوبة الرخوة كأنها رحمة تهبط على المدينة ونحن نفكر في أن نسير دون جلبة وفي ان نتكلم في خفوت، وفي إلا نزعج هذا الحمل العجيب الذي يتمخض عن عالم جديد .

وأنا أمشي اليك.. لا يقطع سيري غير بعض المارة المسرعين .. وخيل الي ان موتك يجب أن يتبع طريقي فيلف ورائي زوايا هذه الابنية ويشق خلفي تلك الشوارع ويخترق بعدي هذه الارصفة الموحلة .

لم ينذرني فوكوتييه بموتك ، الا هذا المساء ، اما موتك فقد انذرني بنفسه منذ شهور ، هنالك قوة غريبة توحي الى الانسان معرفة موت حادث قبل ان يتحدث به الناس ، لقد علمتني مهنتي هذه المؤامرة الغامضة .. التي تتصل اليوم بك فتغير حولي كل شيء ..

ان الموت لا يحمل الى أفكارنا العزاء والسلوان .. وسعة أحزاننا تتطلب نوعا من مقاييس الفراق يحتفظ دائما بنقاط من المقارنة الحية ، اما وحده ، فيكاد يكون غريبا عنا لأنه يتجاوز حدودنا ..

وعجبت من امري ، كيف تلهيني عنك صور الحياة اليومية ، السيارات الكبيرة بخرطومها الكلبي .. وهذه الرؤوس المجهولة التي تستند الى زجاجها ، والسيارات الصغيرة تشق الطين شقا وتختفي مسرعة ..
وامرأة عجوز ذات اسمال تجلس القرفصاء عند باب بناية كبيرة وقد غمرتها خرق لا يتميز فيها لون ، انها لا تطلب شيئا ، لا مالا ولا شفقة .. وما يهمنا شقاء لا يتصل بنا ؟ اننا نحن الناس شد ما يبتعد بعضنا عن بعض .. ووقفت امام العجوز النائمة في البرد ، ما عساني أشعر لو وجدتك يوما مكان هذه العجوز ؟ لو أكتشفت وراء هذا القذر المتراكب ملامح جميلة أعرفها .. أثرا أو أثرين من حسن باهر غابر .. الاثار نفسها التي كانت ذات يوم تستهويني وتفتتني .. هذه الظلال الخفيفة التي تبقى لجمال المرأة عندما تهرم وتشيخ هي عند الرجل الذي يحبها علامات اعتراف بالجميل بأن لا ينسى ولا ينكر .
وتحركت العجوز قليلا واستيقظت ونظرت الي وخافت مني .. ومضيت وانا ابتسم : لقد تصورتك محرومة ، مطرودة .. كلا ، أليس كذلك يا جنفييف .. كنت دائما في حاجة الى رفاه كبير تطمئنين اليه في حياتك كامرأة سعيدة .. غرفة فخمة تنتظرك ، أثاث غال نفيس تحتفظين به ، زينة رائعة تسحرين بها ، تصفيف الشعر عند الصباح وعند المساء .. انت لا تستطيعين ابدا ان تستغني عن هذه الدقائق والرفاهية التي تستطيع ان تجعل المرأة الميتة جميلة .. هالتان سوداوان تحيطان بالعينين .. وقد تلائمك الحمى والنحول والذبول .. بل أنت تستطيعين حقا ان تستخدميها وان تضعيها في مصلحتك لو كانت لك بقية من قوة .. لقد استطعت الانسجام مع كل المظاهر المتلاحقة التي فرضها عليك المرض ، لقد استطعت ان تظهري مثيرة مشتهاة حتى في وسط هذه الارائك الناعمة البيض فوق سريرك ، وهذه الفخامة في غرفتك وهي لعمري غرفة لن تستطيعي ابدا مغادرتها .

ولكن في هذه الغرفة ايضا المورفين يجب ان يكون هناك فوق منضدة صغيرة ، في زاوية من الزوايا ، أبرك اخزك بها حين يبتدىء اختناقك وتلفظين آخر انفاسك .. ويجب ان يكون هنالك ايضا كأس ماء فوق منضدة اخرى صغيرة قريبة منك ، ولسوف اريح هذه الكأس ساعة تغادرنا الممرضة وتتركنا وحيدين ويجب ان تكون هنالك ايضا الادوية التي اوصى بها فوكوتييه ليخدعك عن موتك ويطمئنك على صحتك ولكن وجودي وحده عندك سيشعرك بموتك القريب .. وسنكون كلانا مثل بهيمتين غاضبتين في هذا الصمت السمين الذي يغمر حجرات المرضى رويدا رويدا ، بيننا معركة حامية تدور دون كلمة ولا صرخة يا مجنونة .. لن أرفع عيني عنك ، وهذا يكفي ليخيفك .. وسأحدثك يا جنفييف قبل أن يشرق ذلك اليوم الذي لن تري نهايته ، وقبل ان يموت حقدي عليك ، وسأحدثك عن الحياة .. عن الحياة يا جنفييف .. سأحدثك يا جنفييف عن مئات من الوان السرور الصغيرة التي تمتعنا بها كل يوم ، وعن السماء اللازوردية التي تحبينها كثيرا ، وعن مساء باريس ، وعن الشوارع الصاخبة القلقة العصبية ، وعن الريح العاصفة وعن الطرقات في البراري ، وقد احرقتها الشمس ، هذه الطرقات التي قطعناها معا ذات يوم .. وعن تلك الايام الطويلة السعيدة في قلب الصيف ، وعن الماء الذي سبحت فيه وغمر جسدك كله ورجحه وكاد يشركه في الطبيعة الواسعة الفياضة .

وسأحدثك عن الفرح يا جنفييف عن فرح الحياة العظيم .. وسأفتح لك النافذة لتطلي على ذلك الفجر الصغير الهادىء المتبخر بنديه الليل ولترى كيف يلد هذا الذي لن تشاطريه حياته ابدا .. ما احببت غيرك يا جنفييف .

الممرضة العجوز مرهفة قبيحة ..

- ادخل يا دكتور ..
- تستطيعين تركنا .. اريد ان نكون وحدنا ..
- لا ضرورة لذلك يا دكتور ..

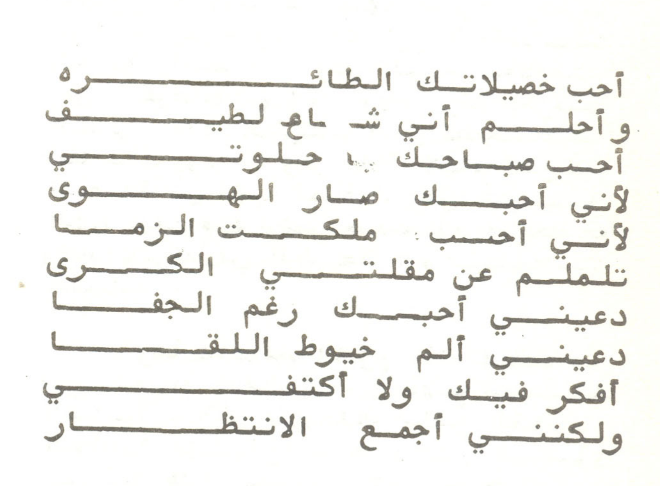
لقد انتهى الامر .. وعلي ان اعنى بالخدمات الصغيرة وانت تعرفها .. وان اخبر الدكتور فوكوتييه ، لقد اوصاني بها حق الوصاية .. كان صديق السيدة .. كنا نتوقع ذلك منذ عهد بعيد .. سهرت عليها ورعيتها اربعة اشهر .. كانت ضعيفة .. ضعيفة جدا .. وتألمت كثيرا .. وكانت وحيدة .. لقد امسكت بيدها وهي تحتضر ..

آه .. لا تبك يا دكتور .. لقد استراحت .. هيا .. لا تبك ..

ترجمة : عبدالمعين الملوحي






أحب خصيلاتك الطائره
وأحلم أني شـ ـاع لطيف
أحب صباحك يا حلوتي
لأني أحبك صار الهوى
لأني أحبك ملكت الزمـا
تلملم عن مقلتي الكرى
دعيني أحبك رغم الجفا
دعيني ألم خيوط اللقا
أفكر فيك ولا أكتفي
ولكنني أجمع الانتظار

وأهوى مفاتنك النافره
على وجه طلعتك الآسره
وأهوى مسائك يا هاجره
يضوع مع النسمة الصابره
ن وصارت وقائعه وافره
وتحرسني عينه الساهره
ورغم تقاطيعك الزاجره
وأرعى سويعاته الناطره
بأنك في العقل والذاكره
على أمل الوصل في الآخره

حسين احمد عبد الرحمن
قرفيص

المتنبي .. دهره وشعره

محمد زهير الباشا

* الشعر أرضه كرامة ..
* دمعة عشق على أجفان اليتامى
* سماؤه نبل وكرامة

تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما
ولا سالكا الا فؤاد عجاجة
ولا واجدا الا لمكرمة طعما

هواؤه ترانيم لا تحتاج الى ترجمان .. فالشعر .. منك واليك .. ليس غريب الوجه واليد واللسان .

يخيل لي أن البلاد مسامعي
واني فيها ما تقول العواذل

والمتنبي اهدر كرامته على عتبات كافور الاخشيدي .. لينال حظوة في ولاية . لكن الشعر يد سندريلا في وجه الزمهرير في احباط كل الاقمار الصناعية .. التي تهدر الدم .. فهي من دمك ولحمك .. عيونها وثمنها .. تتحسس على الفكر وتسلبه وجوده وتمحو الابداع بممحاه السم بالدسم .. وانطلق المتنبي الى مغاني الشعب طيبا بالمغاني .

ليس التعلل بالامال من اربي
ولا القناعة بالاقلال من شيمي

* الشعر قطرات من سحر مندى .. تتدفق على القلوب .. فتنتشر ربيعا وصلاة وآهات ..على أجنحة زرقاء .. ترفرف مع طيور الحب والوفاء وقد نزع من الخلود قبسا من نور وجمرات من نار .. وما ضاع بين المدائح والهجاء ..

ولو برز الزمان الي شخصا
لخضب شعر مفرقه حسامي

* الشعر تلويحة الضفائر المدلاة على كتف الجسناوات في مسابقة للجمال .. لجمال الشعر .. لجمال القلوب النابضة بالصدق وبالصدق وحده .. يسمعه الجن فيروق لهم ويظن بعضهم انه عزيفهم من وادي عبقر .. وتحيله مخيلة الفن فيظن اهل الكوخ انه رغيفهم والفتنة في الاعاريب .. وفي المدينة فتنة الاعاجيب.

* الشعر يزين العصافير بأوراق التوت واوراق العطر تغني وتتشهد . ويغطي شفاه العذارى بعنب حلب في ايلول . . ويرنو الى صفائح ابي تمام وقد آن قطاف التين والعنب ونحت الفرزدق من

صخر شعره .. واستمر ازميل ابي تمام يثر غبار النحت على يديه منذ بائية بشار بن برد ..
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت عن لونهــا
او كأن الشمس لم تغب ..

* الشعر ما كان يوما شبيه قط يسعى بمخالبه اخفاء ثيابه .. واشتد زئير الورد فكان بحجم الفرات والنيلا.. لكنه ظل يفحص عن جدارة في وجوه اهل الاستشراق دعاة التحرر والاستعمار لكن الشعر رد على تلك الوجوه المستشرقة :

وكم من جبال جبت تشهد انني الـ
جبال وبحر شاهد انني البحر

* الشعر .. بيد سندريلا ليس فقاعة من صابون ملون .. وسندريلا اسطورة حلم الفارس القابع (قيل الفوارس ويك عنتر اقدم) .

* الشعر ألسنة من نار توزع احاسيس الجن انغاما من خيوط عبقة .. تعبر دهاليز التعاسة فتكون هواء مضغوطا حيث يتفجر غلاف الزمن فتصحو اقلام وتكبو ضمائر ادعت مرة في غفلة من الزمن انها تملك القافية بلا وزن .. او الوزن دون روي .. ويكتفي المدعى الاول :
انه يمتلك الايقاعات الداخلية ..

* الشعر رسالة معطرة باح بها جلجامش مرة في صدر اميرته وأراد منها ان ينزع الخلود من بسمتها وارتمى يبحث عن الماء في قرون وعل استحى ان يتخفى تحت سقف العالم :

وعقاب لبنان وكيف يقطعهـا
وهو الشتاء وصيفهن شتاء
(عقاب الجبل : شواهقه)

الشعر ليس قطعة من حلوى ..تصبغه سندريلا في حفلة شاي على ابراج لندن وتعكس صفو نهر التايمز .. وهل صفا الا على ايدي فكتوريا ..
الشعر ليس عجوزا شمطاء تعلم الصبايا معنى الخجل المستهام .. وبضربة من مكنسة الساحرة اختفى الشعر وبقى سحر السلاطين سحر من صناعة الناي الحزين حيث رياح السموم تعزف عليه فلا يفرق المتنبي بين كافور وابن العميد ..
وصحراوه تتقلص الى انشودة ذعر اخافت ابنه - محسدا - وبقي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
ولما عرفته قتلته ..
ولما قتلته اليد الاثمة وجدوا لها التسويغ وكان ذاك عيبا وخجلا .

* الشعر ليس من البسته الخز من الصين .. ولو أسقيته من مياه الدانوب .. او غنيت له في شوارع بيغال ..وعزفت له في اسواق التسول في انفاق باريس .. واسمعته طرقات برج ايفل على مسامع الزمن ..

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه
تصيده الضرغام فيمن تصيدا

الشعر يرفض الانتماء في عصر الهيروبيين .. وما افرزته مباهج هذه الحضارة ..
حضارة اليوم الزاحفة الى حتفها النهمة الى كل العناقيد .

* أفعال من تلد الكرام كريمة..
الشعر اقوى من اي ثوب زفاف وداع ..
وداع الليالي الاخيرة من اعراس الزمن المفترس ورقصات الذرة والشظائر المشعة وهي تفتت بأنياب ابن عرس ..
.. ذلك ان الشعر يسمع مهموس - الخلد - في طياته ويعزف بأوتاره فيفزع منه راجمات المتصدين لحرب الكواكب ..

وما أنا الا سمهري حملته
فزين معروضا وراع مسددا

الشعر ليس امرأة تستخدم سندريلا في حفلات الشاي وتصب الكؤوس للغرباء :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه
ولكن من يبصر عيونك يعشق

* الشعر امرأة ماجنة في رأى من يخشاه .. والمرأة قصيدة دائمة تتهامسها قلوب اهل الهوى وصورة سماوية ، في دعاء ترقى به الايدي الى سموات وعليين .. ضربة سيف تخشاها مناقير الجن بعزيفها .. في مأتم الليالي .. ليس حذاء يبحث عنه من يرض ابنه في محفل - انطفأ فيه الهمس وكأن قد أنشده :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه
وفي البحر فهو الدهر يرجو ويتقي

انه المأثور في حلم المتنبي اخفى قوله :
انت شمس منيرة سوداء
والنور صحا والكوخ ما بناه احمق ،
والزهرية تمثال من جليد .

كل جريح ترجى سلامته
الا فؤادا دهته عيناها

* الشعر ليس حياديا وليس سوطا بيد احمق .. وليس ابله المحتوى مرميا على قارعة الطريق فيقدم ولاء في رقصات جنكيز خان ..

* وما كل من يهوى يعف اذا خلا
عفافي ويرضى الحب والخيل تلتقي

وجمع الشعر على يديه .. وقد اذل الحرص اعناق الرجال :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

* الشعر قفزة من ضفاف الاغتراب الى مجهول اكثر اغترابا .. ومن معلوم يدعيه الى مجهول يسترزق منه ولا يدعيه ، انه الرحيل على طائرة مجانية قوتها مثل ذراع البكر او اشد .. رحيلها اسرع من موجات الضوء وقد اتقف ان المتوازيين يتلاقيان ..

وقد يتزيا بالهوى غير أهله
ويستصحب الانسان من لا يلائمه

وتظن نفسك ان تتحاور مع جواد عنترة لا مع السيارة العجيبة ..

* الشعر اختصت عباراته بالصدمات الكهربائية .. ليشفي .. ليعالج .. ليدلك ..
يشفي وهو يوقظ احساسا دفن في مستنقع الاوهام .. يعالج من استعصى شفاؤه .. بالكلمة الطيبة ، بالحرف الزاخر بالحب بالطريق الى الحلم بين الرملة وزبد البحر
وعذلت اهل العشق حتى ذقته
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ورفض الشعر على ايدي اصحابه ان يكون ثوبا لاميرة مزيفة الاوصال ، وقبل ان يقدم تبريكات لمن تربعت على ايكة التلال الخضراء وهي تغني للامس وليس بين اضلاعها كيد امرأة فرعون .. انه الشعر انه القطعة المنتزعة من انفاس العشق واهله ..
وليس مزقا من نفثات الحقد وأهله ..
وظلت سندريلا فتاة هذا العصر واحلامه تحتضن الحزن وعصافيرها لم تنطفىء بسمتها في كهفافلاطون ومحاوراته ..وعلى فرسها ازمة كان الصبر يشرذم القهر وبقلبها سحر يعيد الى قوامها اجمل ما حازته قصيدته من شهرة على مر العصور:

الحب ما منع الكلام الالسنا
والذ شكوى عاشق ما اعلنا

فادرك المتنبي ان ثماره ناضجة عند كافور بعد ان ذبل الربيع على ايدي الحمداني وظن ابو الطيب ان الخضرة في الحسن وان رفيف القلب بلا حراشف .. وركب عربة الزمن وافراسها خيول مذهبة ارتقت بسيف محارب الى عزة في جبين الدهر :

لاتعذر المشتاق في أشواقه
حتى يكون حشاك في احشائه
ان القتيل مضرجا بدموعه
مثل القتيل مضرجا بدمائه

فأين غربتك يا شعر على ايدي المتنبي .. بل اين غربتك المذهبة وخيولها التي اضعتها في هروبك من حلب .. هل سرقها منك تاجر غني والسقوط على الذهب لا ينفعه سجود السهو ..

* الشعر ليس سجنا تداعب الاقفاص فيه مخيلة شاعر يقنص الابداع
انه المتحدى بلا رعونة المسير المجرات بهمسة بكلمة بزفرة .. انه العشق بحلم لقاء .. بنرجسية المتنبي .. بعبثية المعري .. بزهديات النواسي .. بسينية البحتري ، ببخل ابي العتاهية ، بعنجهية ابن كلثوم .. انه اللحظة الحاسمة التي اطلقها ابن خلدون فخرج الشعر من عمامته وعرف الناس مقدمته .. انه الدؤوب على مهنته والحسود من قوته .. وصاحب السطوة من قبضته :

ليالي بعد الظاعنين شكول
وليل العاشقين طويل

نجيمات النابغة رائدة لكل شاعر
اطال على الشعراء مسيرة ايامهم وهو
يحصي كوكبه

والعشق كالمعشوق يعذب قربه
للمبتلي وينال من حوبائه

الشعر ليس اوعية احتفظ بها
قارون او وصية لقمان وهو يعظ ابنه ..
ولا احلام يوسف وهو يفسر لغيره ما عجز
عن تفسير نفسه حين همت به وهم بها
فرأى برهان ربه

وما شرقي بالماء الا تذكرا
لما يريه اهل الحبيب نزول

* الشعر افاق متطلعة .. مقاييسه
محراث يبذر البيادر على كل خصر ..
وينزع الوشم بلمسة ذراع .. وما برح
الذراع على وشم طرفة بن العبد ..
وهو استدارة العنقوغمزات غزال على
يمينه صياد افتقد الرصاصة الاخيرة ..

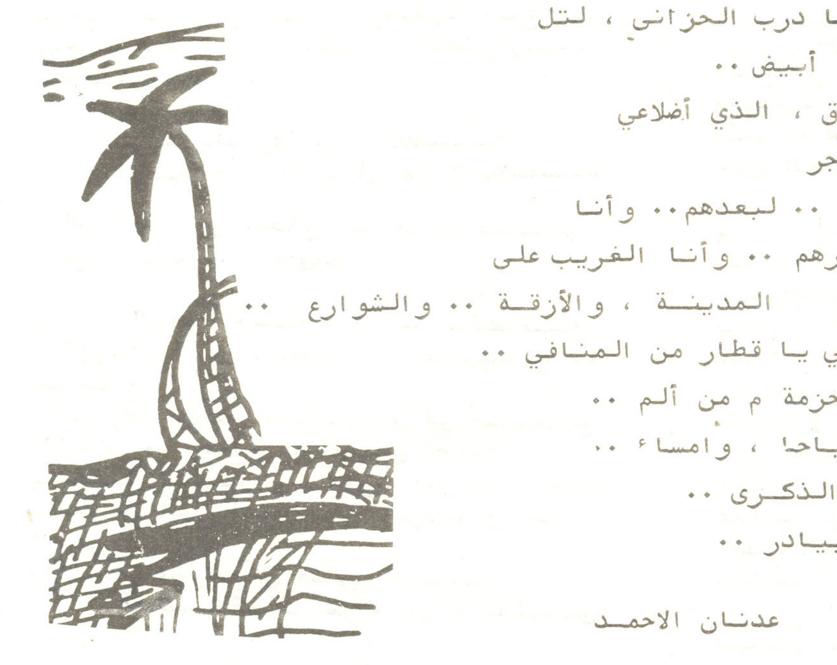
* الشعر هو العطش وقد نسي الشاعر
ان شيئا اسمه الوعي وهو السهام التي
اسقطت نواجذه ..
الشعر وهو يبتلع القرون وقد غابت
عن القرون واللواحظ

سبحان خالق نفسي كيف لذتها
في ما النفوس تراه غاية الالم

محمد زهير الباشا

عد ياقطار

عد يا قطار من المنافي ..
الى أهل
يقاسمهم وجعي ، رغيف الخبز..
والزيتون .. والمخدع .. واحمل
بصوتك قاطعا درب الحزانى ، لتل
أبيض ..
واكسر الطوق ، الذي أضلاعي
لف والمحاجر
فأنا الحزين .. لبعدهم.. وأنا
الحزين لهجرهم .. وأنا الغريب على
المدينة ، والأزقة .. والشوارع ..
عد بي يا قطار من المنافي ..
فالتغرب ، حزمة م من ألم ..
تدميك ، اصباحا ، وامساء ..
وكل دقائق الذكرى ..
لهاتيك البيادر ..



عدنان الاحمد

المعلّم المتقاعد

محمد سعيد كيلاني - حماه

المعلم المتقاعد

طال بُعدي عن عالَم الشعراء
مر دهر ونحن طيُ الخفاء
لا تسلني عمّن جفا وتناءى
هوَ؟ أم كنتُ بادئاً بالجفاء؟
ر عشرون بل تنوف. وروحي
نسيَتْ نفسَها من الشعراء
لا عقوقاً. وليس نايأ. فقلبي
كان في حبهم كثيرَ الوَلاء

ثبتوا كلُهم على العهد صدقاً
واشتياقاً؛ لفتيةٍ أوفياء
ورجعنا أحبةً نتلاقى
مثلَ عهدٍ مضى؛ من الأصفياء
طال شوقي للشعر من طول هجر
واشتياقُ الأحباب صِنو الإخاء
كم شعرنا بلهفة للتداني
أنا والشعرُ، بعد طول التنائي
تارةً أغمِض الجفونَ ازوراراً
وهو ناءٍ عني وليس بناء
روحه في الضمير تسري. فيخشى
أن تراها لواحظُ الرقباء
نَبُلتْ ساعةً تعانقتُ والشعـ
ـر عِناقَ الأحبابِ والخُلصاء

التّدريس

يا (أبا الروض)؛ قد دلفتَ إلى السـ
ـتين؛ هذا تقاعُدُ الحكماء
وترجلت سَالماً؛ بَعدَ ثلاثين
امتطاءً لصهوة الجوزاء
وزرعتَ البذورَ في غرف الدرس
فكانت أزهارَ ذات رواء
حسبُك الان راحةً. قلتُ حسـ
ـبي (جرسُ الدرس)؛ مؤذنا بابتداء
قرف كله؛ دخولاً؛ خروجاً
كلَ يوم بصحبة البُلَداء
فإذا ما أتيتُ بـ (النحو) صِرفاً
وشهودي من أفحل الشعراء
ورويتُ (الحديثَ) عذباً مصفى
واستزرتُ (ابنَ مالكٍ) و (الكسائي)
قام بعض الطلاب؛ ينصب مرفوعاً
بجزم؛ كأفصح.... الفُصحاء

ويرى ما أتاه قولاً بليغاً...

وإذا أنتَ أبأس البؤساء

قد بلغتَ الستينَ؛ عامكَ هذا

قلت يكفي فرطُ الشقا والعَناء

هل أرى في البكور كلَ صباحٍ

مسرعاً؛ غيرَ خادم الأغنياء؟

نحن نمضي إلى المدارس صبحاً

فألاقي من سار قبلَ ابتدائي

وأرى اثنين يسبقان بكوري

تلك شحاذةٌ؛ سَرَتْ بإزائي

أو أرى عاملَ الشوارعِ يمضي

بنشاطٍ وهمةٍ قعساء

مُنِحَ البيضَ والحليبَ ليقوى

واستضافوا المعلمين بماء

غلاء المهور:

رفضتنا عوانسٌ لزواجٍ

وهي في الأربعين يا لَلشقاء

أيُما عانسٍ تود... فقيراً

معْه كشكولُ؛ خُصَ بالفقراء؟

كيف ترضى العذراءُ زوجاً كهذا

وهو من فقره بألف بلاء؟

أينَ منه (المهرُ المعجل) يوماً؟

أين منه (الماساتُ) ذاتُ الرُواء؟

أينَ منه الفرشُ الوثيرُ؛ إذا ما

طلب الأهلُ منزلاً ذا ثراء؟

مناقشة شوقي

أتقولون يا أبا الرضا تقاعدت

وحَسبي سلامةُ الأعضاء!

قال شوقي: (قم للمعلم) تبجيلاً

فإن التبجيلَ.... للعلماء!

ليت (شوقي) عانى المدارسَ يوماً

وسيدري ما قال من أخطاء

ليس من يصطلي بنارٍ تلظى...

كالذي يَغتني ببرد الهواء

ليس من يقحم الوغى في هجومٍ

مثلَ من خاضها بمنظار راءِ

فلو أنَ (الأميرَ) عانى قليلاً

من تلاميذه لمَاتَ بدائي

ومضى صامتاً إلى أبد الدهر

وما قال حِكمةً من.... هُراء

أترى من يُسامر (الخديويَ) على النيل

كمن صَحبُهُ من... الأغبياءِ

أو يشم الزهور في الروض؛ صبحاً

مثلُ من شَمَ حفنةً من فساء؟

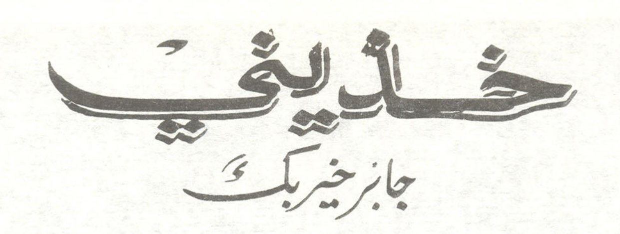
لا تلوموا معلمًا إن تداعى

بعد طول التدريس والإعياء

إنها جلطةٌ؛ وأرحمُ يوماً

من دخول التعليم وقتَ الغلاء

/



خذيني بين أحضان التصابي
خذيني لملمي مني بقايا
خذيني في يديك وداعبيني
وضميني الى نهديك طفلا
خذيني يا معذبتي فأنت
فقد سكر الفؤاد بلا شراب
من الماضي ومن دنيا عذابي
وطيري فوق أجنحة السحاب
أصفي من مفاتنها حسابي
مناجاتي وفاتحة الكتاب

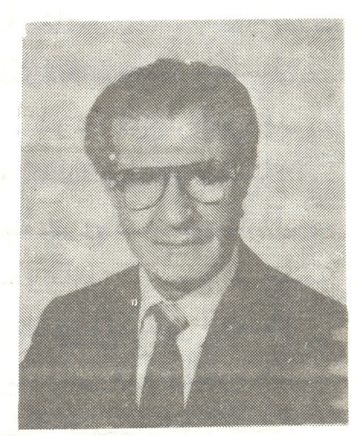
فيا وعدا ويا أملا مرجى
عرفتك والهوى غاف بصدري
وأشعلت الصبابة في ضلوعي
فهاتي من لماك وسلفيني
فبي شوق يدمر كل نفسي
ويا سمراء يا شفة وثغرا
أضم شفاهك السمراء يوما
تعيدين الحياة وتشعليني
وتحيين الفؤاد وتمريني
الى عينيك يحملني حنيني
عرفتك فاستراحت وهي سكرى
خذيني واحرقي نفسي فاني
ويا نغما يحن له ربابي
فأيقظت الهوى وصحا ببابي
فهل أسلو هواك وهل أحابي
كؤوس الحب عاطرة الملاب
وعن عينيك يحرقني اغترابي
تحدى كل أسرار الحوابي
فيختلط السؤال مع الجواب
شبابا أخضرا غض الاهاب
بأنفاس معطرة رطاب
وأحلم بالتواجد والاياب
على ثغر أقبله حرابي
أتوق اليك محترق الشباب

★ كان الطبيب البيطري في إحدى المناطق هو ضابط البوليس ، وفي ذات يوم دقّ جرس الهاتف ، وأمسكت زوجته السماعة وقالت : ماذا تريد من زوجي ؟ هل تريده كطبيب او كضابط ، فأجاب المتحدث : أريد الاثنين معاً ، فنحن لم نستطع ان نفتح فم كلبنا وبين فكيه احد اللصوص .

نفحة تقدير

المحامي الاستاذ .

ابراهيم البطل



المحامي الاستاذ ابراهيم البطل

الى الصديق الكريم ابي فاروق التجار

ردا على قصيدته (انا والرثاء)

خلقت وفيا لا تطيق المثالبا … وتعرض عمن ينشبون المخالبا
فلست ترى في الناس الا محاسنا … ولا ذاكرا للخلق الا المناقبا
وقلبك فياض بكل سجية … يجوب صداها شرقها والمغاربا
فلا بدع ان جاءت قصائدك التي … رثيت بها من كان للخير جالبا
محملة بالطيب ينشر عرفه … محببة للكل قلبا وقالبا
تخلد ذكرى من قضوا ، وخصالهم … أتاحت لهم ذكرا حميدا محببا

*

وعز الوفا في الناس حتى رأيتهم … يلومون من يرثي صديقا مغيبا
كأن قوافي الشعر موقوفة على … المدح ،والتشبيب في من تغلبا
فليس وفيا من يكيل مديحه … لذي سلطة زلفى له وتقربا
وليس وفيا من يسخر شعره … لذي نعمة يرجو نوالا ومطلبا
وينظم في وصف الحسان قصائدا … يفاخر من باهى قديما وأطنبا
ولكن من قال الرثاء بمن قضى … فيذكر حسناه ويطوي المعايبا
ولا يرتجي منه ثوابا ولا رضى … ولا من ذويه منة أو تحببا
فذاك الوفي الخالص الود انه … تزكى بأعراف الثنا وتطيبا

من دفتر عامل منجمي

بقلم
محمد العائش القوتي

حمل ابي رقم 53165 بشركة فسفاط قفصة بالمتلوي ... يستيقظ كل صباح باكرا فيتوضا ويصلي ويلبس ثيابه بسرعة فيجد امي قد احضرت له كعادتها كل صباح فطوره ثم يخرج مسرعا الى العمل ... الجو بارد ... ريح غربية باردة تهب على المكان العمال يرتدون الازياء الزرقاء والقبعات البلاستيكية البيضاء ، بعض العمال يحملون اجهزة الانارة الكلاسيكية . اما البعض الآخر فيحمل ادوات العمل . يتحرك القطار فلا تسمع الا صرير عجلاته وصفيره الذي يصدر عنه من حين الى آخر وعند الوصول ينزل العمال بسرعة في نشاط ليلتحق كل منهم بمكان عمله داخل الداموس مكان مقفر تحيط به الروابي الصخرية من كل جهة ...

اضواء باهتة تتراءى من بعيد واشباح تتحرك ، انهم عمال الداموس . ينزع ابي ملابسه ويبدأ هو ومن معه في العمل بالتهام تراب الفسفاط بالرفش وتعبئته في عربات صغيرة .

وعند عودته في المساء من الداموس يذهب ابي الى السوق ليشتري ما نحتاج إليه من خضر

ولحم ودقيق وزيت وسكر وشاي ولا ينسى كذلك الحلوى والبسكوي ثم يعود الى البيت ونستقبله فرحين بينما تاخذ امي القفة وتفرغ ما فيها ثم يجلس ابي واجلس بجانبه ليحدثني عن ظروف العمل في الداموس فيقول لي :

- يا بني ان ظروف العمل داخل الداموس صعبة اجتهد في تعليمك لكي تنجح .

ان العمال رجال يعيشون مع الفسفاط وحياتهم رحلة تحمل الصراع ومنحمة مع الطبيعة والحياة .

بقي ابي يجهد نفسه الى اخر رمق من حياته لانه يؤمن بالفعل والارادة اوقد صمد صمود الحجرة الصلدة في وجه الرياح العاتية ... كنا نسكن منزلا متواضعا بناه ابي الذي يعمل بالمنجم ... وذات يوم من الايام ذهب ابي كعادته الى المنجم ليعمل بالحصة الاولى بالنهار 1ère . poste وفي ذلك اليوم جاء خبر ان ابي اصيب بحادث شغل داخل الداموس حمل اثره الى مستشفى القرية المنجمية لاسعافه ....

كان اليوم اسودا رماديا متثاقلا ... لا تسمع فيه غير النشيج والولولات التي تطلقها النسوة كاصوات البوم الحزين والصراخ الثقيل والبكاء المفزع .

وقادتني قدماي الى غرفة ابي ولم اكن ادري من أي باب دخلتها . اصبح ابي جثة هامدة لا تقدر على تحريك جزءا منها الا راسه ويداه انتابني شعور غريب وانا اتطلع الى وجهه الاصفر وعنقه الذي ظهر كانه برغوث اسود تشابكت عظامه الرقيقة وبرزت كاسلاك كهربائية ملتوية ...

اغطيته البيضاء متسخة بالدم الاحمر ترمز الى الموت والعذاب بقيت انظر الى وجهه الشاحب المصفر ثم قلت لابدد الصمت المحيط به :

- الا تحس بالجوع ؟... الا تحبذ شيئا تاكله ...؟ فضحك ابي اخر ضحكة في حياته وقال :

- ليس لي حاجة الى الاكل انا عطشان ... اريد الماء .

- الم يقل لك الطبيب ان دواءك هو الشبع الماء غير صالح بك في مثل هذه الحالة .

- لا تقل لي هذا ... اعطني ارتوي بالماء ودع الموت بيد الله ان الله مع الصابرين ...

وتناول كاس الماء وشرب حتى ارتوى ... وبغتة ذهبت عن ذهني كل الافكار المشؤومة ...كان جفناه الاسمران يرفان بشدة الذي اصبح حطاما متهالكا من غير شك ... سيموت مثل والده بدون عزاء كان قد شرد بنفسه وافكاره بعيدا .. بعيدا عني وبدأ صوته يضعف

شيئا فشيئا واشتد امتقاع وجهه وعرفت انه سيلفظ انفاسه الاخيرة امامي وانا لا ادري ماذا افعل ؟

وقفت امامه مذهولا وانسابت التخيلات الى راسي متعقدة وضاق بي الخناق ولا ادري ماذا افعل وبقيت واقفا صامتا تائها واخذ صوته يخفت ويتلاشى فاسبلت جفنيه على كآبة موحشة وانحدرت منهما دموع كثيرة مهدت السبيل لآخر دمعة اكثر غزارة .

بعد موت ابي شعرت بفراغ كبير يملأ حياتي ، تعلمت ان للصمت ضجيجا يصم الاذان ويتردد صداه بين جدران بيتي ، فالليل يجثم على صدري ويشدد علي الخناق وانا ممدد في فراشي ... شيء مزعج ان يشعر الانسان بتجمد الكلمات في باطن قلمه ... لماذا لا تنفجر الكلمات حتى تلطخ نصاعة ورقة دفتري ، هذه الورقة لكم اقلقتني بياضها حتى خلت ان نفسي عاجزة عن الانطلاق ... لماذا "لا احلق شيء ما

اي شيء يحدث صخبا وضجة ... عجبا متى كنت اجرؤ على قول اشياء واضحة ذات معنى ... انه الوهم ... الوهم الذي يضيق علي الخناق حتى يتركني صريعا ومرة اخرى اعود أحيا فراغ ذاتي ...

اترقب ... انتظر لحظاتي ...

الحيرة يذوبها الفراغ والضياع وقلق لا يفنى ...

ان روحي تحيا كل ربيع بالرغم من الاعاصير والاشيئة المتكررة طوال اعوامها المتعاقبة ، حقا انها ذرة من الأرض ولا مراد انها ستعيش وتتفتح من الثراء خضرة وورودا وازهارا ... بيد انها لن تعيش في عالم الصمت والسكون انها ستظل في حرمانها وشقائها ، ان نغمة الحب لا تعطي لا للمهتدين من الاحياء ان الحب منذ حواء وادم والى الابد ...

هو انطلاقة عبر الحدود هيهات ان تتكرر ...

هو النار التي لا تخبو والاشراقة التي ترف في الدياجير ... ابي :

على تجاعيد وجهك

على ضياء عيونك

سأرسم الآن حرفا

يحوي بقايا شجونك

فأنت عندي ربيع

مخضوضر في غصونك

يا بسمه كنت فينا

كالفجر عند الطلوع

إذ كنت وحدك تشقى

دوما لأجل الجميع

ومنك نلقى طريقا

الى الفضاء البديع

* *

يقولون : « قد غاب ابي بأرض قصية »

وقد روجوا الف شائعة

وقالوا : « لقد مات واختطفته
المنية »
وكنا صغارا إذا غاب عنا حد
بكينا
بلوعة حزن يؤجج فينا
وتحرقنا ناره الهمجية
لقد غاب أبي
وطليت بـ حالكات الليالي
لقد كان فينا عطوفا .. يدغدغ
أسماعنا بالأغاني
ويطعمنا من لذيذ الأماني
وها نحن بعد الغياب نعاني
من الوحشة الدامية
ونسأل ... نسأل عنك ، ولا
مجيب
فهل سوف ترجع يوما !؟
كما ترجع الشمس للشرق
الغروب
ونبصر فيك الحبيب الذي لا يغيب
كان والدي عامل منجمي ه
علمني الإيمان بالله والتواد
ومضى مع الفجر ينشد الحق
الذي بقي يجهد نفسه الى آخر يو
من حياته .

وللشاعر الحجر

محمد نفاع

بوركت يا حجرا جابهت طاغية
من حارب القيم المثلى وأنكرها
هذا السلاح جدير بالألى قتلوا
لا تشك - شامير - من ضرباته فاذا
لعل ريغان يصحو من ضلالته
سلاحه يقتل الاطفال في بلدي
هذي حجارة سجيل ستفهمهم
ثارت جماهيرنا العزلاء هادفة
واسخف أجهزة الارهاب لو زعمت
ايمانهم والصخور الصم في يدهم

ينفي حقوق الورى من شرعة القذر
فهل نعاب اذا دناه بالحجر ؟
رسل الاله وخانوا شرعة البشر
ألقمت فاك به فابدأ من السعر
فيردع الوحش عن نزواته الحمر
ويدعم الشر في الذوبان والغجر
بأن غضبتنا من غضبة القدر
الى اجتثاث اصول البغي والبطر
بأنها تدفع الثوار للخور
لا يرضيان بغير النصر والظفر

يا أمة العرب ها هنا بمرحلة
أما اقتنعنا بأن الخصم في صمم
طغيان صهيون لا يزجى بأدعية
أطفالنا علمونا كيف نقمعه
بثورة تسحق البغي اللئيم وقد

فكيف ترضين بالطغيان والصغر
عن الوعيد وفعل غير مقتدر ؟
ولا احتجاج وان يشكى الى القدر
لو بالزجاج ولو بالصخر والمدد
محته من ارضنا بالعين والاثر

محمد نفاع - دمشق

دعتك إليها

شعر: محمد خضر كوسا

دعتك اليها ام دعاك شباب فتاة يشيخ الدهر وهي كعاب
تهادى بنوها في هواها تدلها جميعا وزهد الزاهدين كذاب
طماعية باعوا الضياء بآجل نسيء ربا يبغى عليه ثواب
اذا كان بعض العشق ذلا فعشقها وان هي جارت عزة و غلاب
وان الذي يسطو عليها ببأسه لأكرم ممن يحتذي فيجاب
ورب جبان أسلمته مفادها وحر كريم أثخنته حراب
ولا فرق بين الطفل لم يبل مرها وبين الذي ا ضنت عليه حقاب
نصاب ونرضى بالذي قد أصابنا ويعذر عاني الدهر حين يصاب

*

أنست بها حتى كأني خالد شبابي واحلام الشباب عذاب
يطيب بها صفو الحياة وبؤسها وشتان صفو سائغ وعذاب
وتزهو بها الالوان وهي كئيبة وتنغمر الاوقات وهي يباب
وتستبق الازمان فالغيب حاضر، ومن دونه بعد العقاب عقاب
اليها يفيء القلب آوته وحشته كما فاء للروض الانيق سحاب
فان تبكها تبك الحياة غريرة وقد عالها مما تكن حراب
مشيب قبيح في النفوس ومنطق يجف به ماء الحياة جذاب
بها عن عوادي الدهر غفلة آمن له تحت أنداء الجنان لعاب

* *

نعزّي بلقيا الراحلين كأنما
ولكنه حكم المخادع نفسه
ولا شوق الا للحياة واهلها
قريبان حتى خالت النفس واحد
وقد حال بين الظاعنين وبيننا
غياهب في مهوى الغناء سحيقة
وقد زعموا الاضداد فيها حقيقة
واشراق هذي الشمس عين غروبها
وقد زادها في القلب سحرا نقابها
لقد زاف هذا الغيب حتى كأنه
اذا انكشفت للنفس غاية شوطها

*

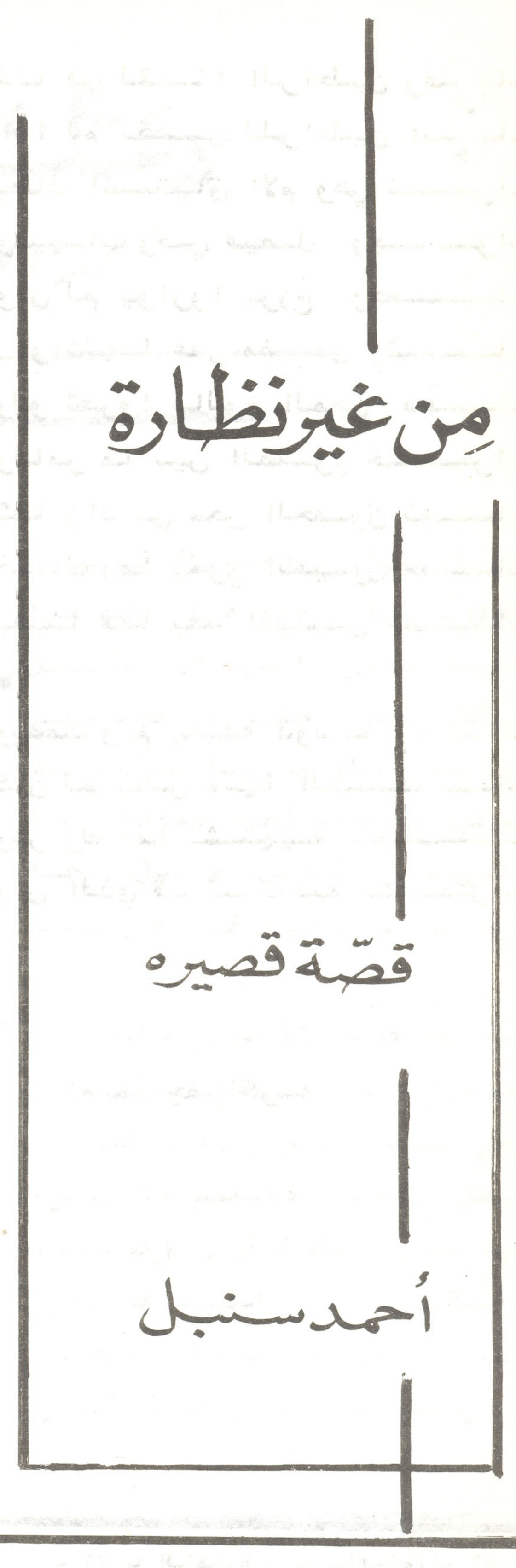
متى يقفر البيت الذي كان كعبة
وتزور عنك الشمس بعد بشاشة
وتخذلك ساق رعش الدهرخطوها
تر الموت يجتاب الحياة خديعة

لنا في لقباء الراحلين رغاب
اذا لم يكن للراحلين اياب
يعاف اشتياق الام وهي تراب
وهيهات وحي فيصل وجواب
وان لم يواروا برزخ وحجاب
اوائلها عمر مضى وشباب
ولو شعروا قالوا المجيء ذهاب
وعامر ما بين الضلوع خراب
كما زاد في سحر الجفون نقاب
خضاب وما يغوي العيون خضاب
يقينا فما بعد اليقين حساب

*

ويصمت ولم يعتده دونك ...
كأن لم يكن منها اليك مثاب
ويزجرك عما تشتهيه عذاب
وان الذي قد كنت فيه سراب

محمد خضر كوسا



مِن غير نظارة

قصّة قصيره

أحمد سنبل

أن يجلس العم (ابو شحادة) على كرسيه وراء الباب الخارجي وآيات الشرود بادية على محياه بعدما عرف عنه من حيوية ونشاط فتلك مسألة فيها نظر ، وهي في الوقت نفسه مجال جدل من معظم الذين عرفوه ، كان الرجل قبل أن يفقد نظارته يفيض حيوية ونشاطا :
يسامر التلاميذ الصغار الداخلين صباحا، يقف في أغلب الاحيان أمام باب المدرسة بوجهه المشرق وقامته المديدة ، وثيابه القديمة النظيفة المتناسقة الألوان التي يرتديها منذ وقت بعيد ، ولا أحد يعرف كيف يحافظ (ابو شحادة) على ثيابه نظيفة على الرغم من أنه لا يهدأ يكنس ويشطف ويمسح ، ان سمع قرع جرس الادارة هب مسرعا بهمة عالية ليقف أمام مديرة المدرسة معملا منشفته في تلميع زجاج المكتب ريثما يتلقى الامر ، انه يعرف أصول التعامل مع مديرته ، فان كانت تتكلم في الهاتف او مع واحد من المراجعين فانه لا يقاطعها انما يمضي وقت الانتظار في تلميع زجاج المكتب غير آبه بما لا يعنيه ، وهو في أغلب الاحيان يفهم ما تريده مديرته من غير ان تتكلم حيث يوجه اليها نظراته من وراء زجاج نظارته السميكة ثم يغيب ولا يعود ، او يغيب برهة قصيرة ليقدم بصمت على صينية نظيفة فنجان قهوة او كأس شاي او غيره ، ثم يخرج الى الباحة فيتفقدها بنظرة شمولية ، فان لم ترق له عالجها بالاسلوب الذي يراه ، وفي بعض الاحيان يمضي الوقت في التقاط بعض أوراق سقطت من أيدي أطفال مهملين ، وذلك نادرا ما يحدث ، فقد كان الأطفال يشفقون عليه من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يخجلون من رمي أية ورقة على أرض الباحة ، فقد علمهم بطريقة غير مباشرة أن النظافة تعلم النظافة ..

بكلمة واحدة أو عبارة واحدة ،لقد أجمع كل من يعرف (أبو شحادة) أن مرتب الرجل قليل جدا على المجهود الذي يبذله في عمله .

في اليومين الماضين تغيرت الاحوال (ابو شحادة) لم يعد يفهم على مديرته من نظرة ، ولم يعد يقف امام الباب الخارجي ليستقبل الأطفال في الصباح بابتسامته المشرقة ماسحا على رؤوسهم بحنو ، لقد خفت حركته الدائبة الناشطة لتحط على كرسي وراء الباب الخارجي ، متأملا بعينين ضيقتين ما يجري حوله ،

بعدما فشل في التعامل مع الاخرين ، ان ذهب الى الادارة فانه يقف قبالة المديرة كالمشدوه ، أو التائه ، وفي بعض الأحيان كالمتوجس خيفة من أمر لما يقع . انه يذكر تماما كيف دلق على مكتبها زجاجة الحبر ، عز عليه آنئذ أن توبخه ، كما عز عليها ذلك ، لقد حاولت المديرة تطييب خاطره قبل أن يخرج :–

– أعرفك تفهم بالاشارة .. ما الذي جرى لك ؟ .. ضع نظارتك.. أيتها ؟

هز رأسه ، ارمش بجفنيه ، لم يقل شيئا وانما أحس شيئا غريبا يسقط في داخله ، قد يكون دمعة أو زفرة ، او شيئا من هذا القبيل ، مضى يومها متجها الى الباب الخارجي ليتعثر بطاولة وسط الغرفة .

سمع وهو يخرج صوت ابريق الماء يندلق ويتحطم .. لم ينحن على شيء يلملمه ، انما خرج مثل فرس جموح عضت اللجام فكسرته بعدما خسرت السباق .

في غرفته الصغيرة خلف الباب الرئيس لاقته زميلته التي طلب منها بلهجة راجية مرتجفة بالقهر :

– أرجوك .. انكسر الابريق في غرفة المديرة .. دبري الأمر ..

قامت لتلبية طلبه ، بقي وحيدا في الغرفة .. استرجع صورة مديرته وهي تنهره .. أحس نفسه يضيق .. أسند رأسه على طرف الطاولة الصغيرة الموضوعة أمامه .. انفجر باكيا ، خشي أن يراه أحد . جفف آثار الدموع .. بقي بداخله فقط يبكي ، أطلق بصره في الاشياء من جوله ، كانت مغلفة بغلالة من ضباب صنعها بصره الضعيف ، تلمس آسفا مكان النظارة على أرنبة أنفه لكأنه يفتقد شيئا عزيزا .

سألته زميلته والممسحة تقطر بالماء من بين أصابعها :

– ما قصتك يا (أبو شحادة) ؟

– نظارتي أساس المصائب .

– أين هي ؟

– ظننت أنني أستطيع تدبير أموري من غيرها ، بصري الحسير يفسد كل عمل أقوم به .

– أين أضعتها ؟

بقي صامتا ثم دارى وجهه عن المرأة التي تنتظر اجابته ، تركت الممسحة وبدأت تفتش عن النظارة في أركان الغرفة على صغرها وقلة أشيائها وصله صوت زميلته :

– فتش معي يا رجل .

قال كالواثق :

– لم أجدها .. من المؤكد أنها ليست هنا .

– قم يا رجل .. ربما استعاروها .

(لقد عنت الشياطين بقولها لأنها أردفت – أقرأ سورة الضحى تهرب الشياطين تاركة الشيء الذي استعارته)

بقي مكانه .. يتأمل الباحة من وراء غبش ، وان كان من حين الى آخر يرف بجفنيه رفيفا متلاحقا ، ثم يحاول جاهدا أن يرى الأشياء بوضوح ، ولكنها تبقى مغلفة بضباب .

يسمع تمتمات المرأة بالقرآن وهي تفتش عن النظارة .

*

انتشر خبر ضياع نظارة (ابو شحادة) بين معلمات المدرسة وتلاميذها ومديرتها التي أذاعت الخبر بنفسها من اذاعة المدرسة وهي تعلن عن جائزة مناسبة لمن يجدها ، فتشوا كلهم عن النظارة الا العم (ابو شحادة) الذي لم يتعب نفسه بالبحث عنها ، فقد كان يشعر بسعادة لا مثيل لها وهو يرى هذا الاهتمام من الجميع ، حتى الأطفال كانوا يسألونه وهم يدخلون الى مدرستهم :

– أما وجدت نظارتك يا عم (ابو شحادة) ؟

أحد الأطفال يخلع نظارته عن عينيه ويقدمها ببراءة ونفس راضية وهو يقول :

– هل تستطيع أن ترى بهذه النظارة ياعم (أبو شحادة) ؟

يربت (أبو شحادة) على كتف الصغير قائلا :

– رأسي كبيرة .. والنظارة صغيرة .

*

عند الانصراف توقفت سيارة فارهة أمام باب المدرسة ، انه يعرفها تماما على الرغم من أنه يراها الآن من خلف ضباب ضعف بصره .

استقر ذات الطفل الذي يعرف على المقعد الخلفي للسيارة ، لم تتحرك السيارة انما ترجل منها سائقها ، اتجه الى الداخل فغاب بعض وقت ثم رجع الى العم

(أبو شحادة) ليقول :
- تفضل برفقتي .
- الى أين ؟
- مشوار بسيط .

شعر (أبو شحادة) بالارتباك ، تملص قائلا :
- لا أستطيع .. يجب اتمام عملي بعد الانصراف .
- زملاؤك يتولون ذلك اليوم .
ثم وجد مخرجا فقال :
- المديرة لا تسمح .
- استأذنتها .. تعال يا رجل .
وأمسكه من يده مما جعله يقول بارتباك :
- لكن الى أين ؟
- مشوار صغير .. نشتري نظارة بدلا عن التي ضاعت .

جاءه صوت الطفل الجالس في السيارة مضمخا بفرح لا مثيل له :
- اطلع يا عم (ابو شحادة) .. لقد حكيت لوالدي عن نظارتك المفقودة .

صعد (ابو شحادة) السيارة .. استقر جانب الطفل ، نظر اليه بعينين شاكرتين .. دار صوت المحرك .. الطفل يثرثر بسعادة .. " ابو شحادة " لم يعد يسمع صوت المحرك ولا ثرثرة الطفل .. كان يفكر في أمر آخر .. أيقول لهم انه لم يفقد نظارته انما باعها في سوق (الحرمية) بثمن بخس من أجل لقيمات يقدمها لعياله ، أم يسكت عن ذلك ؟ ؟

أحمد سنبل

طرائف

* سأل صحفي احد كبار رجال الاعمال المصاميين : « ألا تفكر وقد اصبحت تملك الملايين ان تزور او تراسل اصدقاءك القدامى بعهد الفقر » ؟

فأجاب رجل الأعمال : « كان يسرني جداً ان افعل هـذا ، ولكني مع الاسف حينما كنت فقيراً لم يكن لي اصدقاء ... وهكذا جميع الفقراء ...

* اجتمع فرنسي وامريكي ، وراحا يتذاكران عادات قوميهما ، فقال الامريكي : في بلادي إذا قبلت امرأة عنوة ، تدفع خمسين دولاراً غرامة .

فقال الفرنسي : « أما في بلادي ، فانك تدفع اكثر إذا قبلتها برضاها » .

رضا صافي
يتحدث عن الشعر

(٢)

حاوره: سمر روحي الفيصل

يتابع الاديب رضا صافي، في هذه الحلقة، حديثه الماتع عن الشعر، فيرصد ما سجله شعره من أحداث، وما انعكس على صفحته من سمات مرحلة مابين الحربين حتى تحقيق الجلاء. وهو بذلك - يدون التاريخ الادبي لفترة لم يكتب تاريخها بعد.

في أواخر العام ١٩٣٤ حاولت فرنسا ان تفرض على البلاد معاهدة جائرة، فرفضها المجلس النيابي، فعمدت الى تعطيله ورزحت البلاد تحت وطأة حكم استعماري مباشر ترك الشعب في بحر بلغ درجة اليأس او كاد، ولف كثيرا من الشباب بجو من الخيبة والقنوط أوشك أن يتحول الى تسيب وعدم مبالاة.

وفي صيف العام التالي ١٩٣٥ الموافق للعام الهجري ١٣٥٤، وهو العام الالف بعد وفاة شاعر العروبة (المتنبي) يفطن رجال (الكتلة الوطنية) الى هذه المناسبة القومية، فيغتنمونها فرصة لتحريك الجو وشحذ الهمم، باقامة مهرجانات وحفلات للاحتفاء بهذه الذكرى في شتى المدن السورية، واشارك في مهرجان الجارة العزيزة (حماة) ثم في حفلة بلدي (حمص) بقصيدة طويلة أختمها بالمقطوعتين التاليتين:

قم فتى المجد غننا آية الحزم
فبعض النفوس أمست حيارى
قل صرف الزمان ما كان صلتا
من قواها، وبلبل الافكارا
يا لنا الله، قد ضللنا فبتنا
نحسب المجد قينة وعقارا
يطيبنا الليان حتى كأنا
قد غدونا، بعد الجماح، عذارى

حسبنا، فتية العرب
ما دهانا من النوب
نحن من أسرة الشهب
كيف ننحط للرغم ؟..

*

يا شباب الديار، قد تلهب الذكرى، ابيا
ولا تهز ذليلا
عظة يا شباب، ان ابا الطيب، قد سن
للطموح سبيلا
عشق المجد يافعا، وتسامى
للنبوات كي يبل غليلا
أين منا دم الشباب اذا لم
نبتغ الشمس مسرحا ومقيلا ؟

لا ورى زند من سكن
للونى وارتضى الوسن
انما المجد مرتهن
بالمواضي من الهمم..
....

ويطل العام ١٩٣٦ ، وما ينقضي الشهر الاول منه الا والقطر ، من بابه الى محرابه ، ثائر غاضب ، مضرب عن أعماله ، منصرف الى جهاد مستعمره ، تغص دروبه بالمظاهرات الدامية ، ويملأ جواءه هتاف (الجهاد للوطن و الطاعة للكتلة الوطنية) .. ويخفق الفرنسيون على مدى ستين يوما في كبح جماح الشعب واطفاء نيران غضبه ، حتى يذعنوا ، في النهاية ، الى قبول مفاوضته بشأن عقد معاهدة معه تتضمن حريته واستقلاله ، ويسافر وفد الامة ، اواخر اذار ، الى باريس للشروع بالمفاوضة ، واودعه بقصيدة أتغنى فيها ببطولة شعبي وأصالة امتي ، الى أن أقول :

باركي وفدك الامين ، فقد هم
وألقى الى النجاح زمامه
سار في ركب الملائكة الابرار
جندا وظللته غمامه
وعلى الموكب المهيب تجلى الل
ـه يحبو ركبانه انعامه
وكأن القبور ألقت ضحاياها
فطافت بالركب تحدو كرامه
ودماء الاباة تهدر حوليه
وتجري وراءه وأمامه
والايامى شواخص وحمى العر
ب يمني بوفده أيتامه
ليس في موكب الجلال جسوم
بل منى أمة ورمز كرامه

ايه وفد السلام ، قد أزمن الجرح
ونرجو على يديك التئامه
قد بسطنا يدا ترحب بالود
وترعى ، على الزمان ، ذمامه
ان تجد اختها فيا نعمت العقبى
وحبا بها وألف كرامه
أو تخيب فلن يغول منانا
شبح اليأس او طيوف الندامه
أعذرت أمة تطاول ليل
مضها بالخطوب أن لا تنامه

ويعود الوفد من باريس ، بعد ستة أشهر قضاها في مفاوضات مضنية ، حاملا معاهدة رحبت بها البلاد - على علاتها - وأقامت عدة احتفالات تكريما لرجال الوفد وتأييدا لهم - شاركت فيها بقصيدتي ، نوهت في الاولى بما سمعته آنفا من الدعوة الى ملك(حدة الضاد) ، وعرضت في الثانية بجرائم (حزب الكتائب) الذي ولد في لبنان في تلك الفترة ، والذي يبدو انولادته ، في الاصل ،لم تكن الا رد فعل سلبي على تلك المعاهدة ، اذ راحت عصاباته تناصب مواطنيها المتعاطفين مع اهلهمفي سوريا - العداء ، وتفتعل الاحداث لتهاجم شبابهم وأفواج (الكشاف المسلم) منهم بالسلاح .. واليك مقطع القصيدة الذي تضمن هذا التعريض :

ألبنان الشقيق ، عداك ضيم
وان شحذ الغبي علي نابا
دعوت على البغاة بمهد عيسى
وسقت لبعض أهليك العتابا
رويد بني العمومة ، اي حقد
على القربى ، بباغيهم أهابا ؟
أحملان وصوت الظلم داو ،
فان أنف الاباة غدوا ذئابا ؟
وهل نقموا من الاحرار الا
اباء كالاواذي اصطخابا ؟
وما أسف العروبة للضحايا
فقد ملأت ضحايانا الشعابا
ولكن الدم المسفوح بغيا
سيبقى سبة لهمو وعابا
تعالى الله ، يا قابيل هلا
تذكر من تقمصك الغرابا ؟
....

وفي اوائل العام ١٩٤١ ، احتفلنا بذكرى الهجرة النبوية في العام ١٣٦٠ وكان (داء) التنابذ والتناحر بين قادة العرب وزعمائهم على أشده ،فألقيت في ذلك الاحتفال قصيدة ختمتها بالمقطوعتين التاليتين :

رسول الله استحييك
ان العرب قد هانوا
ذئاب بينهم ، ولدى
دعاة الضيم حملان
تمزقهم عداوات
مزورة وأضغان
غدوا بين الورى شيعا
كأن لم يوح قرآن

لهم وطن ، وألف ندى
لهم علم ، وألف يد
محمد ، خانني جلدي
وكاد اليأس يرديني
....

شكوت الى رسول الله - ما القى من الالم
وعدت ، لعل في قومي ،ذما من سالف الشمم
شباب العرب قد أسمعت ليس المجد بالكلم
خذو الامر أهبته ، وشيدوا الملك بالهمم

نماكم للعلا مضر
وجاءت بالهدى السور
لكم شرفان ، فابتدروا

....

وفي نيسان من ذلك العام ١٩٤١ – كان الاضراب يعم البلاد ، والمظاهرات الدامية تملأ شوارعها ،وكنت أنظم قصيدة حول أحداث بلدي ، واذا بمظاهرة نسوية محض ، تهز كوامن النخوة في الرؤوس ، تسير متراصة الصفوف حتى تبلغ دار الحكومة ، وفيها مقر المستشار الاداري، وضابط الاستخبارات الفرنسيين ، فهتفت بسقوط الاستعمار ، وتندد بالفرنسيين الذين – يتعنترون – عندنا وقد وطئهم (هتلر) بجزمته في عقر دارهم .

وكأن الفرنسيين تهيبوا معرة التصدي بالقوة لمظاهرة ليس فيها غير النساء ، فلجؤوا الى توسيط بعض الموظفين المعروفين بوطنيتهم ليفضوا تلك المظاهرة بالحسنى ، وكانت الغاية منها قد تحققت – فلبوا طلبهم .

ولكن (الكابتن ماسا) ضابط الاستخبارات – وهو مولود في الجزائر ويجيد اللغة العربية اجادة تامة ، كما

كما يتقن كل فنون الكيد والدس التي يقوم عليها الاستعمار – استدعى بعض خطباء المساجد ، وراح يندب الدين الاسلامي ويذرف عليه الدموع ، بين ايديهم فهو يعرف أن هذا الدين – الحنيف – يعتبر (صوت المرأة) عورة لا يجوز ان يسمعه الا محارمها ، فكيف يرضى حماة الدين في هذا البلد الطيب المتدين ان تخرج نساؤه سافرات حاسرات نافشات الشعور كاشفات عن الصدور .. ولا ينطلي كيده الا على شيخ طيب القلب نقي السريرة ، فينقل عنه بعض اللوم الجارح للنسوة اللائي ضمتهن تلك المظاهرة .

وكنت قد بلغت من قصيدتي زهاء ستين بيتا ، فحبست سائرها على تلك المظاهرة حتى أربت ابياتها على المئة . واني أكتفي مما قلته فيها بالمقطع التالي:

يا أخت خولة ، كل ندب – في الشباب اخو ضرار
مرحى ليومك ، رغم أنف – مضلل خب مداري
وفدى لطهرك كل ذي وجه وقاح مستعار
هزي اللواء ،فطالما ،هزته ربات الخمار

لو يسمعون حديث أم – عمارة يوم النفار
أو يشهدون صفية والروع محتدم الاوار
أو يبصرون لبابة الكبرى وقد نهدت لثار
لتبينوا شأن الحرائر – في ميادين الفخار

....

وفي أوائل العام ١٩٤٣، كان التزاحم على – الزعامة – بين رجال (الكتلة الوطنية) ما يزال قائما ، فكتبت مسرحية (سيد الهرر) التي تتقدم الحديث عنها ، وكانت اخر جملة فيها يطلقها الزعيم الحق الذي انعقد عليه الاجماع :

بالاتحاد سنبني ملكا ونبعث مجدا

....

وفي شهر آب من ذلك العام ١٩٤٣ – انعقد أول مجلس نيابي انتخب بعد اعتراف فرنساعام ١٩٤١ باستقلال سوريا ولبنان ، وكان شبابنا قد توزعت أكثرهم المبادىء المستوردة ، وراحت كل فئة منهم تحاول ان تصبغ الدولة – الوليدة – بلون مبدئها ، وكنت أعد قصيدة ترحيب بالعهد الجديد ، فختمتها بالمقطع التالي :

ايه شباب الدار والدنيا لمن
صرعت عزيمته الردى بمضائها
الحرب مسعرة ، وفي غمراتها
تتجادلون ، وقبل كسب لوائها
والدار ؟ هل أنجيتموها من أذى؟
لاشرط ،بل لا عذل ،قبل نجائها
شيدوا الحياة لها ، ولا يصرفكمو
عنها اختلاف الرأي في أزيائها
عجبي ،وأغلالي الثقال تؤودني
ماذا أرجي قبل دفع بلائها ؟
لا تغرني بمنى ، اذا لم تنعتق
كفاي ، لن ألقى سوى برحائها
خدع نرد بهن عن آمالنا
العرس – يا خطاب – قبل ردائها

....

وفي صيف العام ١٩٤٥ ، وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها ، كان الفرنسيون يحاولون النكول عما قدموه من اعتراف باستقلالنا عام ١٩٤١ ، وكانت معركة الجلاء بيننا وبينهم في ذروة احتدامها ، على أن بعضا من اخوتنا الشباب كانوا ما يزالون سادرين في خلافاتهم المبدئية .

وفي ٢٤ آب من ذلك الصيف احتفلنا

بذكرى (وقعة بدر) فألقيت في ذلك الاحتفال قصيدة استهللتها بالابيات التالية :

طافت الذكرى ،فهل من مدكر ؟
وبدا الحق ،فهل من يعتبر ؟
ان تكن (بدر) انجلت عن ظفر
ان في (أحد) لنا مجلى عبر
جرح الذئب فأقعى مبلسا
من لنا بالذئب أن لا يزبئر ؟
أمس قد أرضعته دري على
وهنه ، حتى اذا اشتد غدر

وأمضي حتى أصل الى خطاب الشباب :

يا خليلي انبلاني أرمه
لا المنى تمت ولا الباغي ازدجر
نابه والظفر لما يهشما
كيف نومي بين ناب وظفر ؟
ضل من نام على مستصغر
من قتاد أو بقايا من ابر
يبرأ الجرح اذا استنزفته
واذا لم ينزف الجرح نفر

يا خليلي ، ارميا ثم ارميا
لا تعدا من قضى او من أسر
الرحى ما برحت دائرة
ما وقوفي والردى لا ينتظر
أنظراني ريث نردي خصمنا
واشددا زندي حتى ننتصر
فاذا أبنا الحيا أو أطربا
ليس في الحومة تستوفي الاجر
رب ايماءة طرف للـورا
تبلغ الخصم مناه وتسر

وفي تلك الاثناء كان بناء المجلس النيابي ما يزال متصدعا بعد العدوان الفرنسي الحاقد عليه في التاسع والعشرين من شهر ايار ١٩٤٥ ، فكان أعضاء المجلس يعقدون جلساتهم في مدرج الجامعة السورية بدمشق . وبعد نشري القصيدة السابقة بأسبوع واحد ، عقدوا جلسة استمرت من بعد آذان العشاء حتى موعد السحور - فالشهر العربي كان رمضان - وكانت كلها مهاترات وهجمات على رجال الحكم تتستر بثوب (المعارضة) وما هي ، في الحقيقة ، الا شهوة الحكم والتهالك على كراسيه ، وكنت على يقين تام من تجني المعارضين على بعض رجال الحكم ، استنادا الى ما كنت سمعته من احد كبار اولئك المعارضين من حقائق حول بعض التهم التي وجهت الى الحكومة ،

فنظمت قصيدة نشرتها الصحف بتاريخ ٣٠ آب ١٩٤٥ ، استهللتها بالابيات التالية :

من مجيبي ، ان سألت (البرلمانا)
ما الذي أوجب هذا الشنآنا ؟؟
أترانا قد قضينا وطرا
من منانا وفرغنا لهوانا ؟؟
أم ترى كان مصيبا من رأى
أننا لن يجمع الدهر لوانا ؟؟
كلما قلنا : انجلت عن قائد
قيل : قد فرط بالحق وخانا
كلما قلنا : بدا نور الهدى
عصف الخلف فعدنا لعمانا

الى أن أقول :
أيها النواب ، راعوا الله في
أمة لم يألها الدهر هوانا
لا تكونوا نصله ، من مخطىء
منكموا أو مخلص غالي فكانا
ارجعوا الطرف الى الماضي تروا
آفة الخلف زمانا فزمانا
هل سوى الخلف دعانا شيعا
هل سوى الشحناء اودى بعلانا ؟
ومن العبرة أنا لا نرى
باغيا الا ادعى النصح ومانا
كلهم كان اذا شق العصا
ينصر الدين ويحمي الصولجانا ؟

وأمضي حتى أقول :
يا رفيق الدم ، لم نغمد على
ظفر سيفا ولم نثن عنانا
ان تكن نار الوغى قد خمدت
فهي قد زادت علينا غليانا
لا تذرني عندها وحدي وقم
نمطر الاعداء سهما وسنانا
ان أكن نجدا تزدني قوة
وتشد الزند ان كنت جبانا
أو فدع سيفي غصبا في يدي
ربما احتجنا له يوما كلانا
ان تخف نبوته ، لا تلحني
بل أعن ، ولتهزز السيف يدانا
رب صعب لم ينله واحد
ذل للعصبة عاصيه وهانا
همنا ان يخلص البيت لنا
فاذا فزنا تفقدنا الصوانا

أيها النواب ، لا يخدعكموا
ما اطبلنا امس او اغرى نهانا
أمس كانت (لا) حساما ماضيا
في كفاح الظلم ،بل رمز ابانا
أمس هللنا ، وقد ضج بها
جمعكم ، اذ حاول الباغي آذانا

وملأنا مسمع الدنيا بهـــا
فصحا الكون ونادى بندانا
صرخة الهدم، فخلوها لـــه
ان يجد الجد تطلقهـا لهانا
مبضع يجتث أسباب الادى
تعس المبضع يردى شريانا
نحن ما شئتم وفاء للحمى
واباء وضرابا وطعانا
وحدوا الصف ترونا خلفكم
نتعاطى الموت جاما ودنانا
قد عبدنا الوطن الغالي، ولم
نتخذ ربا فلانا أو فلانا
كل نفس ستوفى أجرها
ان ليلامة عينا ولسانا

واعذرني على اطالة الاقتباس من هذه القصيدة، فهي كانت مترابطة بحيث يصعب الاكتفاء بمقطع منها، او تحويل بيت عن مكانه فيها. ولقد اضطررت الى مثل هذا التحويل في ثلاثة أبيات فلقيت في ذلك نصبا، والقصيدة، يومها، أغضبت ناسا كثيرين، كان يعز علي اغضاب واحد منهم فقط لأن له فضل المعلم على التلميذ، ولكن ما حيلتي والامر عندي كان فوق العواطف والمجاملات.

.....

ويتوج جهاد القطر بغار النصر، وتجلو الجيوش الفرنسية عن البلاد في ١٦ نيسان ١٩٤٦، وتقام مهرجانات الفرح والابتهاج، وأشارك فيها بقصيدة أستهلها بالابيات التالية:

منى، ولكم بات الحمى يرقب المنى
الى أن بدت أنوارها تغمر الدنا
وأشرف، من خلف العصور، أباؤنا
علينا، فألفانا على عهده بنا
كيوم لطمنا عند (ذيقار) جبهة
الصغار وأبنا نلثم البيض والقنا
هناك رأت دنيا الفخار انتصافنا
وهاهي في (جيرون) تشهد ثأرنا

وأمضي حتى أقول:

بلادي، بلاد العرب، ياكعبة العلا
ويا منبت الابطال، طالعك الهنا
جلا البغي عن قدس العروبة وانطوت
مآتمه وانجاب عن أفقه العنا
وماست ديار الشام تزهى بنصرها
(ولولا وقار زانها رقصت بنا)
وعقد العلا أمسى نظيما بساحها
فقرت به عينا وفاخرت الدنا
كأني بسعد والمثنى وخالد
وعمرو تنادوا فالتقى الشمل عندنا

بلى، هذه راياتهم في سمائنا
وتلك سراياهم تبختر بيننا
ولولا افتقاد الصابرين لزغردت
دمشق، ولكن الشجا يحبس الغنا
فلسطين، لا نمنا وطرفك ساهر
ولا طاب يا أختاه دونك عيشنا
وانك عنق العرب، كيف حياتنا
اذا ظلت الاغلال ترهق عنقنا
وقارك، مهما أجلبوا وتناصروا
فليس بمغن عنهموا مكرهم بنا
وياجيرة الاهراس، صبرا لعلنا
نقر قريبا باللقاء لعلنا (١)
أجل، ان قبر الظلم شق ومن يعش
ير القبر قد وارى حطام عدونا
حرام علينا ناعم العيش، او نرى
اللواء لواء الضاد يجمع شملنا

ثم ألتفت الى الشباب:

شباب، لنا ماسر أو ساء من غد
فلا يبن البيت للغد غيرنا
ولا تضل الاحقاد، لم نجنها، لنا
شباة، ولا توه الضغائن عزمنا
ولا يطبينا العيد، آذار شاهد
على أن عيد الامس لم يحم حقنا (٢)
وللدهر دورات وللغدر أعين
محملقة فينا ترقب سهونا
خذوا المجد من أعرافه بيد الحجا
جميعا، ولا تأتوا فرادى ولا ثنا
فان زمام المجد ليس بمسلس
ليمنى، اذا اليسرى شكت خدرالونى
وألقوا فؤوس الهدم ان زمانه
تقضى، وفخر اليوم ان نحسن البنا
منى العرب أضحت في الشآم وديعة
شباب وأنتم خير من حقق المنى

....

وما يمر على الجلاء شهران اوثلاثة حتى تكون روائع مكيدة تقسيم فلسطين قد فاحت وزكمت الانوف، ونحتفل في شهر آب من تلك السنة ١٩٤٦ - بذكرى معركة بدر في العام الهجري ١٣٦٥، وألقي في ذلك الحفل قصيدة، أقول في استهلالها:

جرد السيف، وخل القلما
أعذر الحق فهلا حزما ؟
واحتمال الظلم عجز بعدما
أذن الله لمن قد ظلما

الى أن أقول:

أيها العرب وما في الامر من
لبسة، فالذل أو بذل الدما

كشر الغادر عن أنيابـــه
فاضربوا الانياب حتى تهتمـا
ما فلسطين سوى مفتتـــح
للمآسي ، فاحذروا المختتمـا
واحذروا يوما تعضون بـه
بدل الاصبع قلبا نـدمـا
يوم تغدون ولا ارض لكـم
وتهيمون ولا معتصمـــا
وتساقون الى الذل كمـا
سيق ، في أندلس ، من سلما
هو حقد الغرب ، لا يغرركمـو
أنه يهدأ حينـا مرغمـا
جرح غرناطة لما يندمل
فاتقوا في القدس جرحا أعظما
حبة القلب هنا ، ما سلمت
سلم الجسم ، والا انهدمـا
ويمين الله ، مـا مـن وزر
بعدها للعرب يرجى أو حمى

ثم التفت الى شباب العرب :

يا شباب العرب ، في كل نـد
هل دم يحفزنـا او لادمـا
ذي فلسطين على النطع ، فمن
يعذر الجيل اذا ما أحجما
دفعت (حطين) بالامس الاذى
ما عليها اليوم ان تضطرما
الجدود الصيد كانوا أسدها
أين منا الى الصيد انتمى
يا شباب العرب ، لن ينجينا
نهم يدفع عنـا نهمـا
كل نـاب تحته السم فلا
يخدعنكم ان يسمى بلسمـا
لا يغرن أمرا خلفهمو
ليس دون الحق ما قد نجما
سلب أغراهموا فاختلفوا
ترب نازع فيه متخما
وأرى الاغلال في كل يـد
أشبه الاحمر منها الادهما
بعض ما يدعوا اليه بعضنا
يدحض الواقع ما قد زعما
أف للقيد .. وان موهه
صنع الكف فحاكى الخدما (٢)

وأتوجه اخيرا الى قادة العرب :
ا
قل لمن ينفذ فينا أمرهم :
نحن ، يوم الروع ، ماشاء الحمى
مهد عيسى وبراق المصطفى
لن يكونا لدخيل مغنما
وفلسطين لنا ، لن تستبى
تحت عين العرب او تقتسما

كل شبر دونه سيل دم
كيف لا تفدى الدماء الحرما
فاجهروا بالحق ، لا يصرفكمو
عنه (خب)راغ او باغ حمى (٩)
(انما الحر اذا سيم الاذى)
قال " لا " واستل سيفا خدما
ما على السيف اذا لم ينتصر
ان يلاقي الله مخضوبا دما

......

وفي ٥ كانون الاول ١٩٤٧ - وكانت الامم التحدة قد اصدرت قرارها بتقسيم فلسطين - اقامت (لجنة الدفاع عن فلسطين) بحمص حفلا للاعداد لحرب (الانقاذ) الشعبية ، القيت فيه قصيدة منها الابيات التالية :

بني أم قد اعذر الصابـرون
فأين السواعد أين الهمم
نموت ؟ ولم لا ؟ وعلى ان نمو
ت ضياغم تنهش ، لا كالغنم
وهل نحن الا بقايا السيوف ،
وسؤر الردى ونسال الكرم
فما عجب أن يرانا الزمان
نرد الاذاة ونردي النهم
بل العجب الحق أن ننثني
لأن القوي بغي اذا حكم

أيبغي اليهود على دارنـا
ونحيا ؟ اذن يا صغار الشمم
هو نطفة الجبن مذ خلفوا
نبيهموا وحده للخذم
همو مثل الذل بين الورى
فأنى لهم عاليات الهمم ؟
أجل ، ان خلفهم الطامعين
وليسوا سوى آلة المنتقم
وليست فلسطين كل المراد
ولكن سبيل لكيد أعم
فقد كشر الغرب عن نابه
وللناب حد وفي الناب سم
هو الجرح ينغر في صدره
وان خاله الجاهلون التأم
تلاقت ضغائنه حولنا
فنام الخصام وخان الخصم (*)
وبتنا مع الحقد ، وجها لوجه
ولم يبق الا الابا معتصم
وماذا على الحر غير الغلاب
فان عاش عز ، والا كرم
سيعلم من هان أن الردى
ملاقيه في يقظة كالحلم
غداة تذبح أطفاله
وتسبي عذاراه سبي النعم

ويقتاد للذل قود البعير
ويدفع للحتف دفع البهم
فما يوم غرناطة بالخفي
ولم يمح ذكراه فرط القدم
ولا العهد اوثق مما مضى
وفي الكون عرب وفيه عجم

سمر روحي الفيصل

هوامش

(١) كانت الجزائر ما تزال تضمد جراحها من المذبحة التي آنزلها بها الفرنسيون عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وعرفت باسم (الظهير البربري)

(٢) الاشارة الى ذكرى تتويج فيصل ملكا على سوريا في ٨ آذار ١٩٢٠

(*) لم يتفق الغرب بجناحيه ـ الشرقي والغربي ـ الا في قضية التقسيم هذه ، بل لعل الجناح الشرقي منه كان أشد اصرارا عليه .

(٣) الخدم جمع خدمة وهي الخلخال .

(٤) لهذا (الخب) احاديث ستأتيك بعد قليل .

أقوال وحِكَم

* ياقابض الروح عن نفسي اذا احتضرت
وغافر الذنب زحزحني عن النار

ذي الرمة



* الكلمة المقدسة تبعد عنك الشر .

زرادشت

* معاقبة الشر بالشر ، اضافة شر الى شر وفعل الخير حسن وأحسن منه ستره .

قاسم أمين



" ان اللذة هي انتقال الانسان من حالة كمال أقل الى حالة أعظم كمالا ، والالم هو انتقال الانسان من حالة كمال أعظم الى أخرى أقل كمالا ، وأنا أقول انتقال لأن اللذة ليست كمالا في حد ذاته ، فلو ولد الانسان كاملا لما شعر بعاطفة اللذة ، ونقيض ذلك ما يزيد الامر وضوحا " .

نحن الأحياء وأنتم الأموات

بقلم : الدكتور محمد حاج حسين

مهداة إلى الدكتور عبد السلام العجيلي

" الجانب الاخر " كتاب يربو على ثلاثمائة صفحة .. اذا أتيح لك أن تقرأه لا تستطيع أن تتركه الا بعد أن تأتي عليه لطرافته ، وجدته وهيامه في عالم آخر كل البشر في الطريق اليه .. ولقد أحدث ضجة هائلة في الولايات المتحدة الامريكية ، وترجم الى لغات عالمية شتى وأثار لدى قرائه الكثير من الشجون والشؤون .

مؤلف هذا الكتاب الفريد جيمس .أ. بيك ، كبير أساقفة الكنيسة البروتستنانية في سان فرنسيسكو وأحد كبار رجال الدين في أمريكا حفت به شهرة مستفيضة لمؤلفاته المتعددة الالوان ومقالاته الكثيرة في كبرى المجلات والصحف الامريكية ومواعظه الجمة في كنائس أمريكا وانجلترا ، وظل خمس سنوات يوالي تقديم أحاديث في التلفزيون البريطاني ، وامتاز بعمله المثمر في تجديد اللاهوت ليتسق مع الحياة العصرية ومن آرائه ان ولادة السيد المسيح كانت في الناصرة وليس في بيت لحم كما هو معروف .

في عام ١٩٦٩ كان في اجازة تفرغ لدراسة مخطوطات البحر الميت ، والبحث في تاريخ العهد المسيحي الاول ، واتخذ مقرا له في بكبردج وصحبه ابنه البكر جيم الذي انتسب الى احدى كليات كمبردج ، وكان الادب في قمة السعادة لأن جيم لم يجد المخدرات التي كانت تفترسه في امريكا .. وعبثا حاول ابوه صده عنها فكان ينجذب اليها بدافع اقوى منه .. وهو يرى فيها وسيلة للهرب من هذه الحياة العفنة البعيدة عن كل حق وخير .. القائمة على التناكر والتناحر وافتراس القوي الضعيف .. وفي المخدرات وجد عالما آخر تصوره مليئا بالحكمة والعدالة والجمال والانسانية .

كان الاسقف بيك سعيدا مع بكره جيم في كمبردج .. ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا ففي ذات يوم جاء جيم الى أبيه متهلل القسمات وأخبره انه تعرف على طالب انعقدت بينهما صداقة ودله على مكان لبيع المخدرات .. وها هو الاسقف يرى بعينه ابنه ينساق بنهم غريب الى المخدرات ولا يستطيع ان يفعل شيئا ليدرأ عنه هذه الرذيلة .

وبعد أشهر أمضياها في كمبردج ، كان على الاب أن يعود الى الولايات المتحدة لبعض أعماله وصحبه ابنه الى مطار لندن .. واكتشف جيم انه نسي جواز سفره في كمبردج ونصحه رجال المطار بالذهاب الى السفارة الاميركية في لندن لاتخاذ بديل عنه وسافر الاب على أن يلحقه ابنه في الطائرة التالية عندما يحصل على بديل لجواز سفره .

وانغمس الاسقف بيك في أعماله .. يحاضر ، ويعظ ويجتمع رعيته ، وذات يوم جاءه النبأ المريع الذي قصم ظهره لقد ذكرت الجرائد ان ابنه وجد في فندقه بنيويورك منتحرا .. كانت الفاجعة فوق ما يحتمل ، فجيم لم يكن ابنه فحسب ، بل كان ايضا صديقه سلخ معه أجمل ساعات عمره في مناقشات لاذعة عن الحياة والمجتمع .. وها هو ينتحر في العشرين من عمره دون ان يترك كلمة لأبيه المفجوع ..

وبعد خمسة عشر يوما من هذه المصيبة عاد المحترم بيك الى كمبردج، لاستكمال دراسته وصحبه احد مساعديه وسكرتيرته لينهي أعماله بسرعة ويعود الى أبرشيته يلتمس فيها العزاء والطمأنينة .

واستقر في نفس البيت الذي كان يسكنه مع جيم .. ولم تمض سوى ايام قليلة حتى احس الاسقف ومساعده وسكرتيرته ، بأحداث في البيت غير مألوفة .. نقر على الابواب في الليل أثاث البيت ينتقل من مكانه .. دبابيس على المكتب لا أحد يدري كيف جاءت .. كتب مقلوبة على صفحات معينة .. ساعة الحائط تجمدت على ساعة معينة هي الساعة التي انتحر فيها جيم ، وشملت الرهبة الجميع ، هذه الحركات تتكرر كل ليلة .. ودب الخوف وسهروا الليل وترصدوا كل حركة ولم يجدوا ظاهرة غير مألوفة .. بيد ان الظاهرات الغريبة تتكرر باستمرار .

وأفضى الاسقف بالامر، الى صديق له أستاذ في كمبردج ، وأوضح له هذا الصديق ان هذه الاعمال آتية من جيم .. انه يريد ان يتصل به لأمر ما .. وهو يعلن عن حضوره الى البيت بهذه الاعمال الغريبة ليجذب اليه الانتباه ونصحه باللجوء الى السيدة تويج الوسيطة المشهورة في انجلترا كلها واستطاع ان يحدد له معها موعدا رغم مواعدها الحافلة .

وفي الموعد المحدد كان بيك في منزل الوسيطة المشهورة يصحبه مساعده داود وسكرتيرته يجلسون في غرفة المعيشة مع الوسيطة تويج يتحدثون عن الظاهرات التي تجلت في كمبردج ، ثم أخذت الوسيطة تتنفس ، وتدخل في غيبوبة ، وتمتمت بصوت عادي .. انه هو يبذل مجهودا قويا ليتجلى ، وبعد لحظة ارتفع صوت كأنه يتحدث الى شخص آخر .. لم أستطع مقاومة التجربة .. لم أستطع تحمل الحياة .. يا الهي .. لا اعرف ماذا أفعل .. ولكنني الان بعد ان وصلت الى هنا أدركت انها لم تكن سقطة كما خيل الي .. لقد انهار جهازي العصبي ..

ويقول الاسقف بيك .. في هذه اللحظات وضح لي أن ابني جيم حاضر معي وشاركت ابني في هذا العذاب الذي يعانيه وعاد صوت الوسيطة يقول : لست هنا في المطهر .. انني في لون من الجحيم ، لم يحاكمني احد ويقرعني .. وارجو الا يلومني احد منكم ..

وبعد هنيهات أردف قائلا : أتيت الى بيتك وضربت بابك وحركت كتبك .. ووصلت حتى سريرك .. لقد حلمت بي . . وحدثتني ..
وتابع صوت الوسيطة التي كانت تتحدث عن جيم .. أحبك كثيرا .. حب كبير .. وليست لدي آية طريقة لأبرهن بها عن هذا لا يوجد هنا غيوم حيث أعيش .. لايوجد أي غموض في ارض النور .
واستطرد الصوت .. انه طريق الحرية . . والعودة .. ومحاولة أن اشرح لك .. لم يكن بارادتي .. كله جرى دفعة واحدة .. بلعت حبوبا كثيرة .. انهم لايتحدثون لغتنا .. انتصرت على اخر عرف .. الموت .. هنا لم يوجه أحد أي اتهام لي .. لقد تألمت لموتي .. كنت أريد أن أحيا طويلا .. قل لاخواني واصدقائي انني أحبهم جميعا .. انني أعتقد الآن في الابدية .. لم أفكر انه يوجد طريقة لأنجو منها .. كنت أود أن أفكر في هذه الظواهر في جو أكثر عائليا ..

وفي الجلسة الثانية قال جيم : ستترك قريبا وظائفك الدينية وتتفرغ للبحث .
ويحتج الاب .. في هذه الآونة لم يكن لديه أية فكرة للتخلي عن أعماله الدينية (وحدث هذا فعلا بعد فينة من الزمن) وتابع الصوت قائلا : ستتخلى عنها .. سأكون معك في شهر آب القادم .
وقال الاسقف : عندما أريد الاتصال بك .. كيف يتم لي هذا ؟
لا أعرف اي وسيط في الولايات المتحدة
وأجاب جيم : دقيقة واحدة .
وخيم صمت .. كأن جيم يستشير أحدا ..ثم استطرد الصوت قائلا الاب روثر كاهن الكنيسة في نيوجرسي .
وسأل الاب ابنه : ماذا أصبحت ؟ هل اتضحت لك الامور ؟
وكان الجواب .. أجل .. الان أشعر كأنه يوجد أمر ما .. بدأت أحس ان هنالك واحدا يشد الخيوط ، ويجعل الاحداث تمشي .. ولكنني منذ أن أصبحت هنا .. لم أسمع كلمة عن المسيح ..
وخطر للاب هذا السؤال .. جيم حيث أنت موجود .. هل يوجد حياة جنسية ؟
وأجاب جيم : جنس .. نعم .. يوجد جنس، بيد انه يختلف عما لديكم .. لا يوجد شيء جسدي .. والواقع نحن اكثر منكم

فهما للجنس .. تستطيع ان تدخل في المرأة نفسها .. كأنك تذوب فيها وتصبح أنت هي ..

وراح الاب يحاور ابنه في أمور خاصة لا يمكن للوسيطة أن تعرفها .. ولدهشته البالغة كانت الاجابات دقيقة وبالغة الصحة .. أسرار خاصة تحدث عنها جيم حتى اتضح للاب انه يحاور ابنه جيم حقا .. وأخيرا طلب اليه ان يتحدث بالهاتف مع أمه .. ويبلغها انه بخير ويحيا حقا .. وليس هنالك موت .. وانه يحبها ونفذ الاب هذه الرغبة .. وكانت الام تصغي الى الحديث بلهفة وحب معتقدة ان جيم هو الذي يتحدث .

وعاد الاسقف بيك الى الولايات المتحدة واستغرقه عمله الدائب .. وذات يوم بعد أن انتهى من موعظته في الكنيسة قابله شخص لا يعرفه وقال له : عندما كنت تلقي خطبتك كان واقفا وراءك شاب اسمه جيم ، وعجوز يدعى الياس ووصف الشاب بدقة .. انه ابنه جيم .. اما العجوز فهو جد جيم لأمه .. وأدرك الاب ان ابنه يريد الاتصال به وحصل على عنوان وسيط معروف من هذا المجهول الذي حدثه عن ابنه .
انه المحترم ديزلي الذي عرف بقدرته الخارقة على الاتصال بالارواح .. واتجه صوب الهاتف ليأخذ موعدا منه .. وما ان مد يده ليدير القرص حتى رن الهاتف .. وكان المتحدث صديقه ومساعده داود الذي اخبره انه وجد في بيته بعد عودته اليه ذات مساء نفس الظاهرات التي عرفاها فيكمبردج .. الدبابيس المقفلة والساعة مجمدة عقاربها على الساعة الثامنة والدقيقة التاسعة عشرة .. انه جيم يود الاتصال به .. كما أخبره في انجلترا في اليوم الاول من آب ..

وسافر فورا الى الوسيط ديزلي ، واستقبله هذا بحرارة وما ان التقط أنفاسه حتى قال له : رفعت ذات مرة عيني ووجدت في غرفتي شابا كبيرا واقفا وقال لي : اريد ان تساعدني لأتصل بوالدي في اول آب .
وأجبته .. ولكن يجب على والدك ان يطلب هذا اولا .
وهكذا ترى أيها الاسقف المحترم ان كرامة المهنة تحتم ان تخطو انت الخطوة الاولى

وبدأت الجلسة الروحية ودخل ديزلي في الغيبوبة وبعد هنيهات ادار الوسيط رأسه في اتجاه معين وهتف : ابنك الان واقف وراءك .. وبالدقة ناحية الشمال .
وترامى الى الاب الصوت جليا .. صباح الخير يا بابا .. انني سعيد ان اراك، هذا اليوم .. كنت معك منذ قريب عندما حاولت ان تبحث عن كتاب في المكتبة ولم تجده ، وبعد ان غادرت الغرفة وضعت الكتاب المطلوب على المكتب ودهشت عندما عدت الى الغرفة ووجدته ..
وحدث هذا فعلا ..
وتابع الوسيط متحدثا عن جيم .. الان ، عندما ضللت الطريق ..
وصعدت التلة خفت ألا تستطيع معرفة البيت .
وقال الاب : كيف عرفت هذا ؟
وفجأة سأل الاب : هل سمعت حديثا عن يسوع ؟
وكان الجواب .. لم أسمع شخصيا عنه اي شيء .. لدينا الخيار فياتباع طريقين ، الانتظار .. او تحسين معلوماتنا الروحية .. بعضنا يؤثر ان ينتظر الحساب الاخير .. وبعض المستنيرين يفضلون دراسة العقائد الشرقية ..
ويفيض الاب في كتابه " الجانبالاخر " في الحديث عن هذه اللقاءات الحميمة واخيرا يطلب اليه الابن ان يذهب الى تورنتو في كندا حيث سيقوم اكبر وسيط امريكي فورد بتحضير روح جيم على الشاشة الصغيرة .. وتتم هذه الجلسات ويتحلق حول التلفزيون عشرات الالوف ، ويتحدث جيم ، ويثير اسرارا دقيقة وأمورا خاصة لا يعرفها سوى الاب .

وتتلقف الصحف الاميركية هذه الجلسة التلفزيونية .. ويتعرض الاب الاسقف لحملات قاسية منها .. وتسخر من تفكيره ويصمد لها ويمضي في طريقه غير آبه لما يثار حوله من غبار وهجوم قوي مركز .

ويعود الاسقف بيك الى انجلترا ، ويتصل بالوسيطة الانجليزية و نقل اليك الجلسة الاخيرة بنصها .. يقول الاسقف بيك :
هذا ما قاله ابني : سأحاول بأحسن ما أملك من قدرة ان أشرح لك الامور كما أراها .. انني متأثر جدا بواقع أنك تتابع ما اكتشفناه معا .. هذا هو الكنز .. أريد ان اقول لك اننا نساعدكم ، ونرشدكم بعناية كبيرة حتى لا تنحرفوا عن الجوهر في سبيل امور غير مجدية .. انت

تعلم أنني عندما تركتك في غموض عقلي وعدم فهم ، وقدرة على الثقة بالانسان.. أنت تعرف هذا .. وهكذا كان يجب أن أنتهي الى هذه الحالة ووصلت الى هنا ، وقالوا لي : الان .. تعال ، الشهادات لا تفيدك البتة .. لنبدأ الاشياء من أساسها ، واكتشفت ان الامور المجدية حقا هي الشفقة والاحسان والتعاون المشترك .. انها هي المجدية عندما نمارسها فعلا .. يجب ان تتعلم كيف تتلبس بالشخص الاخر لتعلم كم يعاني .. وقليلا قليلا أخذت الاشياء تأخذ في نظري معنى .. انني أعيش في ديانة ليس الله فيها ، ويسوع اجباريا ، لقد اكتشفت يابابا انني أستطيع أن أصل الى فلسفة لم يرشدني اليها الدين.. وعندما

وصلت الى هنا خيل الي ان هؤلاء السعداء سينبذونني لأنهم يعرفون ماذا كنت . . أجل انهم يعرفونني ومع هذا ساعدوني بلطف لأميز بين الجوهر والعرض .. وهكذا رويدا رويدا شعرت بالتكامل من جديد .. وكان هذا عزاء كبيرا لي ان أعلم أنني أستطيع الاتصال بك . . بقيت مشدودا الى الارض مثل حبل السرة لأنهم هنا يعلمونك ان تحب أولئك الذين تركتهم ، والذين يفكرون بك .. هل تعلم يا بابا ماذا اريد ان اقول .. اشرح كل هذا الى الاسرة ، أريد حقا الا تنزعج علي .. ولكن .. عندي الكثير لأقوله لك .

وجوابا على سؤالي .. هل سمعت حديثا عن المسيح قال : قلت لك سابقا انه امر شاق .. اخشى ان اجرح عواطفك، لقد سألت اساتذتي واجابوني :
جيم لست على مستوى يتيح لك ان تفهم الان .. لم أله .. ويتحدثون عنه كصوفي وعراف .. اه يابابا .. ويتحدثون عنه كمخلص ، ولكن كمثل حري بالاتباع . .. المهم .. المثل الذي اعطاه .. اترى ؟ وددت لو قلت لك ان يسوع منتصر ..ولكن غير هذا .. لا أفهم بعد جيدا انه غير مخلص .. الاحسن معرفة ان جميع الناس لا يمكن ان يحبونا .. اريد ان اقول لك شيئا .. عندما تبدأ بنشر النور على الاخرين .. وتريهم الحقيقة تتحدقون الظلام ضدك ، وتصرخ .. اطفئوا النور.. اطفئوه .. وهنا ما عملوه لجون كنيدي، ولأخيه بوب . وللقس لوثركنج .. لقد أطفأوا المصابيح ، ولكن رسالتهم لاتموت انها تتقدم .. الشعوب تسعى لتحرير

نفسها .. وكل واحد منا يجب ان يتطوع لمساعدة اولئك الذين لا يستطيعون ان يحرروا أنفسهم لنساعد هؤلاء الناس بالكتابة والكلام ، والمثل .. ما اقشى التجربة الفظيعة ان يموت الانسان قبل ان يعرف الحقيقة ..
أليس هكذا .. هنا لا ينقصني شيء .. انه عالم مدهش لا احتاج لشيء البتة ..

ولزميل له في الكلية كان حاضرا هذه الجلسة قال جيم :
تعلم كل ما تستطيعه على هذا لانك لاتعلم في اي وقت تقدر ان تخرجه الى حيز العمل وتجد معنى للحياة ..

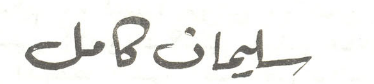
لا تصدق ان الله يستطاع ان نشخصه هل انت متفق معي يا بابا ؟ اريد ان تعلم كم هو مثير ان يعود الانسان الى عندكم .. لسنا موتى .. نحن الاحياء وأنتم الاموات لأنكم انتم عاجزون.. اريد أن أفهمك انني أعيش في عالم من الحب والانسجام ، عالم مفعم بالموسيقى والالوان ، والشعر .. نحن مفعمون بعرفان الجميل لهذه الصفة ، وهذا الانسجام .. اننا نريد ان ترفع الى القوة المركزية قليلا من الحب الذي نمته فينا .. وآمل أن يأتي يوم لا أتعلق فيه على شخصي الخاص .. يجب ان تتحرر من نفسك حتى تصل الى الحرية .. انه تناقض ، ولكن ذلك الذي لا يملك شيئا يملك كل شيء .. عندما تحب يغمرونك بالحب ..
أنت ترى ان الاشياء تبدو متناقضة..انني أتعلم ، وأستفيد ، وأعمل كثيرا وهذا هو طريق التطور .. اننا نشاهد ان الانسان يتطهر قليلا قليلا .. وبدون انقطاع .. انه يتطور ويصل الى النور، انه يرمي عكازيه وقيوده ويعمل للجوهر وهذا ما اكتشفته .

ويجيب الاب كبير الاساقفة على سؤال طالما طرح عليه .. هل تعتقد في حياة شخصية في عالم آخر ..؟ هل تعتقد انك اتصلت بابنك ..؟
والجواب .. بما انك لا تقول لي .. هل تعرف ؟
ولكنك تقول .. هل تعتقد ؟ نعم ..انني أعتقد ..

محمد حاج حسين

الموسيقا والأحاسيس الجمالية

سليمان كامل



من تربة الاساطير الشرقية ، ترشحت حكاية اميرة تدفقت نوافير الشمس الصوفية في عروقها حنينا الى الانفناء في رحابة الوجود ، وامتلأ خيالها رومانسية ، فتولهت بحب شاب موسيقي فقير ، فطلبت منه أن يقطف لها النجوم المستحيلة ، ويرميها في حرزها الحريري وأن يسمعها خرير الامواه في أعالي الجبال بلا ماء ، وان يزكم انفها بعبق زهرة ـ اللوتس ـ السحرية دون الوصول الى أغصانها ، وان يطير بها على رفارف من زغب الحمام الوديع ، بلا جناحين ، وقتئذ امسك قيثارته ، وراح يعزف في دفء الحلم ، فاندلق خرير الماء مع انسياب الموسيقا ، وامتزج حفيف الاوراق بعبق الازاهير ومع رفات الطيران في دنيا من العذرية.

تداعت الى ذهني هذه الحكاية ، وأنا اقوم بنزهتي المسائية المعهودة . يجتاحني حزن راسب لاادري منبعه ويرسم القلق الغامض دوائر في نفسي عن بذرة الحياة وحصاد الموت الذي غدا يحاصرني في تساؤلات غريبة عن عتبة المهد الذي نخرج منه الى الحياة فترات قصيرة في عمر الزمن ، وندخل بعدها الى دهاليز الموت . أحساس بلون القفر ، وهوم في مخيلتي ، شعرت بحاجة ماسة الى صديقي الموسيقي ، لاجلو خرائب أحساس بالضيق والانحصار في طوابير الحاجة والترقب الطويل أمام المؤسسات لاقتنص بعض الضروريات . رحت أنهب الازقة ، يدفعني شوق ملتهب الى الاغتسال والتطهر برفات الانغام . نزلت درج السلم في خطوات مبعثرة دق قلبي دقات جرس صدىء ، قرعت الباب قرعات مدوية ، لاني لم اتبين الجرس الكهربائي . السكينة الليلية التي كانت تسجو في القبو ، تمزق حجابها ، وفتح الباب ، واطل الصديق الموسيقي الذي يمقت الشهرة والتلميع الاجوف . امتلأت خياشيمي برجع أنغام خافتة في مسجلته ، وذوب رائحة ـ العبيتران والجوري وضوعه شجيرة عطر الليل في اقصى الحديقة الصغيرة

قادني الى غرفته الخاصة . هناك اطلت أنواع من الالات الموسيقية ـ الربابة ، القيثارة ، الفلوت ، الطبل الصغير ، الناي القصبي ـ . تسلقني شعور بأني أعود لي رعشات الطفولة ، وبدائية الحياة . ورانت سكينة لاهفة ، ودوم الموسيقى اطباقها المخيمة ، وحملق بي هنيهة . وهمس قائلا :

ـ منذ الخريف الماضي . لم ارك ، الا بين الحروف في زاوية يوم الجمعة من الصحيفة ، انني اقراك في نهم واجد في عباراتك ايقاعاتي الموسيقية ، كلانا نلتقي في رعشة الصوت وحميا الايقاع. أنت تسمع للشمس صورا لامعة وحروفا ، وأنا اسمعها لحنا جميلا . انت ترسم هواجس الغروب ، والانتقال الى غبشة الاماسي بالالفاظ وهي عيد لعينك ، وانا انقلها بالانغام واللحن وهي عيد لسمعي المرهف . في حروفك شفاء لك من مستنقع السأم واللاجدوى ، وفي موسيقا آلاتي شفاء لي من الحصار الهمجي والشعور بالفراغ وجحيم الاخرين . غاب وراء الباب ، ورجع حاملا (نارجيلته) المعهودة ، والدخان يتصاعد منها مثل مجمرة نحاسية

واقعى على الاريكة بجانبي ، وانغمس في بقبقات النارجيلة ونفثاتها الصاعدة من فمه . ربت على كتفه في تودد وقلت :

– يبدو من عالمك الخاص ، انك لم تتزوج ، ولم تنجب أفلا تشعر بالوحدة تزحف اليك ، وبالوحشة تتآكلك ؟!

افتر ثغره عن ابتسامة ملطومة بالاسى الداخلي وأجاب:

– قدري انني تزوجت الموسيقا والنغم ، وتلبسني شيطانهما المريد ، وصقلت حواسي لتلقي الاحاسيس الجمالية ، في سمفونيات وترانيم أدركها بالسمع وأحياها بالقلب ، وأشعر عبقها يغور في عذوبة ، كمن يجلس تحت غابة في عز مملكة الربيع وازهاره ..

أن من الفاجع أن نحصر ملذاتنا في الاكل والشرب والجنس ، وخاصة في شرقنا ، وأن نسد منافذنا عن الاحاسيس الجمالية التي تثيرها الموسيقا السامية ونكتفي بالمتع الكثيفة التي نتساوى فيها مع الحيوان في غرائزه الاولى . وهذه النارجيلة ببسماتها تهيء لي المناخ لاقتناص هذه الرؤى الموسيقية التي ترفعني الى الاعلى

فبالموسيقا الرفيعة تتفاهم الارواح ، وتشف الحواس حتى تسترق السمع الى خفايا الوجود وأناشيد اللانهاية

احتضن الاته الموسيقية وراح يعزف تارة وينفخ بالاته الهوائية تارة اخرى . حتى انجلى الصدأ عن حواسي ، وانسل السأم والانحصار من كوى نفسي وشعرت بأني اطير في سموات النغم ، وبراري الفطرية الوادعة ، واستحم بأريج العطور في الليالي الساجيات واغتسل بأحلام الصيف ، واسكر بخمرة الحب الانساني وكرمته الابدية .. وأصرخ مع – شيشرون –:

: انه الصوت الانساني الدافىء قد انصقل بالنغم حتى اتصل بالروح الاسمى . ففي أعماق كل صوت جميل يثوي عنصر انساني . فالاصوات القاسية البحاء تذكرنا بصوت الانسان في حال الغضب ، والاصوات الرخيمة ، توقظ فينا معاني الحب والعطف . فالموسيقا الرفيعة تتويج لنداءات الروح ، واستجابتها للعوالم البعيدة التي يتلاقى فيها الفرد بالانسانية والعالم باللانهاية .

مختارات مترجمة

الهواء في السهل

سالم جبارة

انها النشوة الدنفة ،

انه الجهد العاشق ،

انه كل ارتعاشات الغابات ،

بين عناق النسائم

انها جوقة الاصوات الناعمة

بين الاغصان النشوى ،

انها التمتمة الهشة النضرة

انها تزقزق وتهمس

تشبه صوتا حنونا

يزفر به العشب المضطرب

تحميه ، تحت الماء المنعرج ،

ترتج الحصى الاصم

هذه النفس التي تنتحب

وهذه الشكوى الهادئة

انها خاصتنا ، أليس كذلك ؟

قولي ، خاصتي وخاصتك ،

التي تنبعث منها التسبيحة المتواضعة ؟

بصوت منخفض ، في هذا المساء الفاتر

حتى الحيوانات الدنيا تشعر بالوحدة

ولكن كيف هو الحال يا ترى بالنسبة للحيوانات ، من الطبقات الدنيا ؟ اقادرة هي الأخرى على التحسس ، بشيء ما من هذا القبيل ؟ ولاختبار قدرة تلك الحيوانات على الإحساس ، بمثل تلك المشاعر ، يمكن دراسة سلوك مختلف الحيوانات ، في ظروف متشابهة .

ويمكن مثلاً أن ندرس كيفية تحمل تلك الحيوانات ، الانعزال والوحدة ، وانعدام الاتصال مع أبناء جنسها .

ولقد ثبت أن اكثر الحيوانات كرهاً للعزلة والوحدة ، هي الحيوانات التي أعتادت على العيش ، قطعاناً وأسراباً . حتى وإن كانت تلك الحيوانات بدائية جداً . والعجيب في الأمر ، هو أن تلك الحيوانات البدائية ، تعاني أكثر من غيرها ، من آلام الوحدة ومآسيها .

فالحيوانات الراقية ، لها القدرة للتكيف إلى حد ما على الوحدة والانفراد . وقد يقدم المجتمع البشري ، عوناً كبيراً للتخفيف من عبء الوحدة عن تلك المخلوقات فالقرود مثلاً ، ترى في شخصيتنا ، أشقاء لها ، فتجدها تعيش معنا بوفاق ووئام .

الحب يأتي مصادفة

قصّة : حلمي القاعود

عرض : مصطفى النجار

أهو من باب الواقعية ان يقول الاديب حلمي القاعود عن رواية صدرت باسمه في القاهرة وتحمل عنوان الحب يأتي مصادفة ، والتي بلغت ١٤٨ صفحة من روايات الهلال : أعترف أنني لم أكتب حرفا واحدا في هذه الرواية ؟ "

ويتساءل القارىء عمن كتب هذه الصفحات الفنية بالمشاعر والاحداث والتطلعات ؟
فنجد الجواب عند حلمي بالذات : وكل ما أستطيع قوله الآن أنني بنشر هذه القصة أفي لصديق عزيز وأخ كريم ورفيق سلاح قديم ، بأقل ما يجب وهو أن ترى كلماته النور " ..

ويتساءل معي القارىء : ومن هو هذا الصديق والأخ ورفيق السلاح ؟ انه بطل قصته " الحب يأتي مصادفة " : حامد الشيمي .
ومن قبل أصدرت مجلة الثقافة المصرية للاديب القاعود قصة بعنوان : " رائحة الحليب " وهي عن حامد الشيمي ذاته ، ولعلها النواة الاولى لتلك الرواية .
وحول هذه القصة بالذات أورد ملاحظتين :
١ - هل من الواقعية ان ينقل القاص نقلا أمينا لكل ما يجري على أرض الواقع ، وهل اعترافه ينفي ذاتية القاعود في الحب يأتي مصادفة ، ولمساته الابداعية في عمل اشتمل على تصوير فترة من أحرج الفترات التي أعقبت نكسة حزيران ١٩٦٧ . واكتنز على مخزون عاطفي وفكري ، وما أظن - والظن هنا ليس باثم - بأن حامد الشيمي هو حلمي .. حلمي القاص والقصة من تأليفه ومن روحه ومعاناته ، ومن قبل صرخ : غوستاف فلوبير على هامش روايته الشهيرة مدام بوفاري قائلا : " مدام بوفاري هي أنا .."

٢ - اما النقطة الثانية في قضية تحويل الكاتب لقصة قصيرة كتبها ونشرها من قبل الى قصة طويلة ، ولكن ما جدوى ذلك وهل يستسيغ القارىء هذا العمل ؟ وهل يساء أولا وأخيرا الى العمل بعد أن تكامل في ولادته الاولى العفوية ؟
قد يسوغ عمل القاص القاعود الأمانة التي انطلق منها واعترف بها ازاء صديق واخ ورفيق سلاح ، وللاضافات الهامة من حيث احداث القصة ومسارها التي عمقت من العمل القصصي في وجدان القارىء ، فخلت من خطورة الحشو والزوائد التي يخشى منها في هذا الحال الا ما ندر من

بعض استطرادات ساعدت على فتور القصة الطويلة ، وبطء حركتها .

أدعو القارئ لمطالعة هذه الرواية وأمام نصب عينيه الامرين اللذين ذكرت ، وتلك الفترة الزمنية التي ولدت فيه أحداث الرواية ما بعد النكسة الحزيرانية حتى حرب رمضان ١٩٧٣ مع مراعاة الانتباه الى البيئة التي شهدت هذا الصراع اضعاف القناة العربية وريف مصر .
ولنا ان نتساءل :
من هو حامد الشيمي ؟
وها هو حامد يروي القصة بضميره الاكثر حساسية ، وضميره الصامت الاكثر تكلما ، ولعلنا نكتشف حامد من خلال مجموعة من الشخصيات احيانا وغالبا من خلال حواراته الداخلية ، على امتداد الزمن الذي أدرك خطورته في بناء الرواية فنيا فاستطاع الى حد نقله لنا من خلال اجازاته التي يمضيها في " كفر المحاريم" بين أهله الريفيين وفي القاهرة تلك المدينة الصاخبة وبين الجهادية حيث يمضي سني حياته العسكرية ، فهو يستعين في تصوير الاحداث الواقعية والنفسية للقصة على طريقة " الفلاش باك " العودة الى الوراء ، فيطوي بها،زمنا وراء زمن مع غنى التصوير بزخم نفسي ذاتي حينا (المونولوج) ، واقامة جسور حوار مع الاخرين من مدنيين وعسكريين (الديالوج) ماعدا شخصية واحدة كانت العلاقة بينه وبينها على قدر كبير من الحياء مع توفر رغبة حارة بالتعامل معها وهي شخصية " زينب " تلك البنت الرائعة الجمال الثابتة هناك في كفر المحاريم .

وحامد الشيمي حين نتعرف على سماته النفسية في القصة سيجعلنا نتفهم المسارات التي أراد للقصة ان تسير فيها .
حامد مثقف ويمتهن التربية والتعليم في الريف ، فهو مرتبط بأرضه الى حد التعصب لها والهيام بها ، يمتلك نفسا منبسطة بالتعامل مع الواقع وحيواته وشخوصه ، يقظ الضمير حساسه ، يؤثر أن ينخرط في هموم الاخرين لينقذهم منها ويقدم أجل الخدمات لأهل " كفر المحاريم " وحامد ذو تصوير واضح للناس وللواقع وللحياة والكون يرتكز على احترام كبير للقيم الانسانية ، وللعقيدة الاسلامية على وجه الخصوص ، جوهر هذه العقيدة ، ويقلقه ما آلت اليه النفس

الانسانية ما بين عساكر " الجهادية " وهي ترتقب ساعة الصفر ، لتغسل عار الهزيمة السوداء ، وهي ترى كل ساعة ولحظة جنود يهود على الضفة الشرقية للقناة .

قال له " عامر المنوفي " يوم قام حامد بزيارته حيث يعمل في جمعية الادباء بشارع قصر العيني :
ـ أعرف أنك تتحمس للقتال مهما كانت النتائج ؟
ـ صحيح .
ـ ولكن القتال بدون مساندة دولة كبرى يصبح هزيمة مؤكدة .
ـ ليس دائما .
ـ لا بل دائما .. (ص ١٠)

لقد استاء حامد من عامر المنوفي هذا المثقف الموظف المقيم في جمعية الادباء والذي يمثل صورة مهزوزة لايرضاها حامد مطلقا وهو الرجل الذي تحت رداء العسكر ، يعاني ويحترق في اليوم ألف احتراق وينتظر ساعة الاصطدام مع العدو في سبيل قضية تهم الجميع بدون استثناء .

يصف عامر هذا فيقول : ولا أنسى طوال عمري ما شهدته في الشتاء الماضي عندما زرت القاهرة وقابلت الاستاذ " عامر المنوفي " في جمعية الادباء بشارع قصر العيني ، لقيته في جمع من الادباء تحلقوا حول مائدة انضممت اليها وأخذنا نحتسي الشاي والقهوة .. ونتكلم .. ورغم ان الكلام هنا مباح الا في الدين والسياسة ، فلقد التزمت الصمت تماما ، ظللت أستمع اليهم والاستاذ عامر المنوفي يرفع صوته الرفيع وتتوهج عيناه احمرارا ، وتتبين اسنانه الصفراء داخل كهف مظلم ، وتتحرك يداه مشيرة اليهم بأوامر قاطعة تفرض عليهم أن يقبلوا رأيه الذي يعتقده صحيحا ، كأنه يؤيده بأدلة عضلية .. ومع شعوري بالتقزز الذي تخلف عن صورة المناقشات

خاصة آراء الاستاذ عامر ، الا أنني وجدت ان لا مفر من الاجابة الباسمة عن أسئلتهم كانوا يعرفون ان كتاباتي قليلة .. كلهم قرأوا لي ما نشرته في العواصم العربية الا الاستاذ عامر المنوفي فلم يقرأ لي الا قليلا ..

هنا تعرية للثقافة الزائفة ،

البيروقراطية المتعجرفة الذليلة ٠٠ وتصوير لغربة بعض الادباء الحقيقيين الصامتين، في خضم هؤلاء الذين يرجعون – كمثل حامد الشيمي – الى اوراق مذكرته يخط فيها ما يشاهده ويسمعه ويقرأه من واقعه الملئ بالمفارقات ولا يألو جهدا في مشاركاته الميدانية ٠

وحسه الديني هذا جعله يقف أمام أماكن قليلة يحبها – بحكم العادة او بدافع التذكار – في حالة شوق وذهول وحب " أحببت مسجد الحسين والمنطقة التي حوله ، أصلي هنالك وأخرج الى الشوارع المحيطة بالجامع فأغوص فيها بجسدي وأشعر حينئذ بارتدادي الى الماضي العريق ، أرى خيل الفاطميين وفرسان المماليك ، وأستشعر طعم الايام التي ما هدأت على جبين الاجداد الاشداء٠ لعل الاجداد ينفشون من أرواحهم ليأتي احفاد على شاكلتهم أو أفضل منهم ٠٠ ولكن على مهل ، احساسي يقول ذلك ؟ (ص ٢١) ٠

وحيث هو في القاهرة يستمر في رسم صورة من حياتها او حياته اذ يزور (حياة) الخالة حياة بناء على توصية من أمه في زيارتها وأذهب الى شارع القلعة لأزور سيدة طيبة تعرف أمي مذ كانتا طفلتين في دار متجاورتين بقريتنا" فهي على حد تعبير امحامد : امرأة طيبة وأميرة ، بنت الاصول لا تعيب ولا تعاب ، كان زوجها – الله يرحمه – يحب أباك ويعزه " والخالة حياة على قدر كبير من الثقافة وتحتل مكانة أدبية مرموقة في صحف ومجلات العاصمة ، وهي مثلما تكتب عن شهيرات الاسلام تكتب عن الفن والادب ٠

حامد حين يتعامل مع الجنس الآخر ، يتعامل بثقة واتزان ، حاله غير حال كثير من الشبان ، وذوي الشخصيات الهزيلة المتمايعة ، وبخاصة ازاء الجنس يسترجع وهو ينوي زيارة الخالة حياة مرعي تلك بعض ذكرى : ٠٠ يوم أدخلوني لجنة الامتحان في الثانوية العامة وسط الفتيات ، ضحكت كثيرا في سري ، وعندما انتهيت حصة الامتحان التفقن حولي ورحن يتناقشن معي بدهشة ، واستغراب وانبهار ٠٠ قلت للبنات بجرأة : من منكن تتزوجني ؟ لم أضحك، وكنت صارما حتى الكركرة ٠٠ صرت صديقا لهن بعدئذ ورجلهن الحازم "

وعندما قام بزيارة مسجد الحسين "

شعرت أن المؤلف كان في حالة وجد مدهشة تواترت صور اثر صور ، وانساب من أعماقه تيار من الحب والالم من الشوق والاحتراق والحنين وينطلق عاري الكلمات صادقها : ٠٠ تمنيت ان تكون لي عروس فتاة أحلام حلوة جميلة ، مشوبة الخدين بالحمرة تبسم في وجهي فتغرد الدنيا من أجلي ٠٠ آه يا حلوة العينين والهدبين ، يسا سمراء الوجه ، يا بهية الطلعة لا تسألني من أنا ؟ فأنا القادم من أعماق القهر والغربة أشكو اليك بؤسي وهواني ٠٠ وأستميحك عذرا مافرطت من أيامي ، وعندي زفرات حرى أنفثها – لو سمحت – في حضرتك ٠٠ خذيني أسيرا، خذيني فقيرا ،لا ٠٠ خذيني فارسا مغوارا خذيني رافضا متمردا ، مات شبابي في قاع الغربة ، واليتم الوطني ثم تتوضح للقارئ ملامح بخيته ، اذ يقول باسلوبه الشاعري وجوه المشوق : عفوك يافتاتي اني عائد الى اهلي ودار الشيمي " وسوف أطلب يدك من أبيك لا تخجلي ٠٠ لا تستحي ، لقد سقط الحياء في عصر الهزيمة ورموا بالخجل في عرض الطريق ، لأنهم شافوا في ذلك وسيلة للتقدم ، " انها زينب كفر المحاريم ببراءتها وحيائها وطهرها ٠٠ يؤثرها على بنات كثيرات وكثيرات في العاصمة ، ويوم شد رحاله في اجازة الى كفر المحاريم عرج على بيت هذه النخلة الحيية ، رأى زينب تبتسم في خفر ، يقول حامد :

سلمت عليها ، وبعد السؤال عن الصحة والاحوال سمعتها تقول :

– كم ستبقى ؟

– كانت تسألني في خجل عن اجازتي ٠

– ٤٨ ساعة ٠

– فقط

– نعم

فقالت الام باستنكار وعتاب :

– اذن ستسافر اليوم ثانية ؟

– غدا صباحا ٠

فقالت بأسى:

– ولم أجهدت نفسك ياحامد ، وأتيت في هذه الاجازة القصيرة ؟ ألم يكن من الأفضل ان تنتظر حتى تأتي في اجازتك الشهرية ؟

أجبتها ضاحكا :

– من يعرف ؟ فقد يأتي ميعاد الاجازة ، ولا أكون موجودا ٠

الحوار يدور بين حامد وام زينب، وزينب صامتة واقفة وراء أمها، انها نبتة هكذا ترعرعت ، تحب حامدا الذي

هو تحت الضرب وبين الضرب على القتال، لا يدري مصيره بل لعل احساسه بانعقاده، ارهاص لما سيحدث في آخر الرواية، وفي ختام حياة حامد الشيمي.

ان القاص حلمي القاعود، يسير مع حامد، خطوة خطوة، من القاهرة، الى كفر المحاريم حيث زينب وحيث أمه التي تأبى في كل اجازة الا أن تزوده، بـ" زوادة " فيها من الخبز المأدوم، والجبن المملح والحلاوة الطيحينية".
(الزوادة) مقدسة في أيام الرحيل، الذي يرحل من بلدتنا يعدون له زوداته، الفلاحون يخرجون في ايام الحصاد الى البرية للعمل كانت تمتلىء أمتعتهم في الذهاب بالزوادات .."
وان حب حامد الشيمي ام حلمي القاعود بتسجيل أمين لما يحدث يجعل من بعض اللقطات والاستطرادات آية في التوظيف النفسي والفني، ولا تخلو من بعض التفصيلات التي يمكن الاستغناء عنها، ومثالا على ذلك ما نقرأه ص ٦-٧-٨ حول الزوادة تلك وغير ذلك من مواقع في طول الرواية.
وها هو حامد او حلمي القاعود ينتقل بنا الى الجبهة، ويضعنا وجها لوجه أمام الخط الملتهب في أعماق حامد، لا أدري بماذا اسمي ذلك الهدير الذي انطلق من حامد وهو يتكلم عن الجبهة، يلون الجبهة تلوينا جديدا، ويشكلها تشكيلا نفسيا، يقول:
الجبهة؟ لا تسألوني عنها، أنتم تعرفونها، وأنتم الذين سميتوها كذلك، يوم اندحرت قواتنا في العام السابع والستين، وبقيت الفلول على الضفة الغربية للقناة.
حينئذ أسميتم هذا الخط الفاصل المسمى قناة السويس: جبهة القتال، هل هناك فرق بين القفا والجبهة؟ في أيامنا لا أرى فرقا .. الجبهة تحت الجلد وفي خلايا الدم .. اذا سقطت هذه الجبهة او فقدت فلا جبهات ولا قتال.
الجبهة في داخل حامد الشيمي، ولكنها محطمة، هشة، ميتة، حامد لم تتحرك جبهته تحركا حقيقيا حتى الان؟"
وسوف نتعرف معا على زملاء حامد في هذه الجبهة واحدا واحدا، وقد نجح القاعود نجاحا بعيدا في رسم ملامحهم مما يدل على معايشة حقيقية لهؤلاء الاشخاص على أرض الواقع ويحضرني في هذا المجال سؤال احد الصحفيين لنجيب محفوظ عما كتبه عن حرب حزيران فأجاب بأن أدب الحرب لا ينجح الا بأقلام من خاض أصحابها تجربة الحرب"..

تجربة معاشة مع موهبة الخلق لابد أن يولد من هذا المزيج عمل أدبي يؤثر في النفس أبعد الاثر، وأما أولئك الذين يتخيلون ويتوهمون وهم من وراء مكاتبهم أو وراء زجاج المقاهي والملاهي فلا بد أن نقرأ من مزيج أوهامهم أدبا ضحلا باردا مهما اندعم من الاعلام واضوائه؟

وسوف أنقل للقارىء ختام الفصل - ١١ - ليتعرف على ان زمن الانتظار قد انتهى على حد تعبير (اشرف الصعيدي)، احد المقاتلين ..
بعد قليل بدأت الخطة تنفذ، انطلقت المدفعية الثقيلة من الضفة الغربية وأخذت القذائف تنهمر كما السيل على الصحراء الساكنة، انطفأت عيون يهود المنبعثة من خلال ملجئها البعيد، بدأنا نحن نتقدم، كان الهدف هو الملجأ الذي انطفأ، وتحت القصف الهائل القادم من الغرب كنا نفتح النيران في قلب الملجأ .. وكان قتال، وكانت ليلة وكانت نار تندلع فوق الصحراء وتشق الافق نحو السماء"
من هو أشرف الصعيدي: هو ابن حياة مرعي، خريج كلية الهندسة، رومانسي يهوى الشعر، في حياته فتاة متهورة، تحاول ان تشده من عالم أمه، بعيش قلقا، وفصاما في الشخصية، وعذابا داخليا طالما حاصره حامد بأسئلته وحاول رأب الصدع بينه وبين أمه حياة، وحين اشترك في مهمة عبور القناة لضرب ملجأ لليهود قال (وهو يعدو كالطائر المغرد جبهته تضيء والليل، فرحان يشقشق، يسير بهمة، ونشاط، كان غريبا هذه الليلة لم يسأل عن شيء، لم يلعن شيئا كما وصفه حامد: انتهى زمن الانتظار .. سوف تمضي الدنيا بغير انتظار ..
أما عبد الراضي الامارة: يصفه حامد قائلا: عبد الراضي فتى صعيدي، أسمر الجبهة، أبيض الثغر، وكان يحب حلقات الذكر وأكل المكرونة والبيمك ويكتب اسمه بالعافية ويروي على لسان عبد الراضي ذاته: أبواي لم يرسلاني الى المدرسة ما ذنبي؟ علموني يا ناس وسأتعلم؟
عبد الراضي هذا الفلاح البسيط، يحب ملجأ الوقود ويعتبره كدراهم تماما

شرفه وعرضه يغار عليه من اي نظـــرة ترسلها طائرة في الجو .
ويروي حامد عنه قائلا : رأيته تحـت النار يقفز نحو الملجأ الذي يخزن فيه الوقود ثم يحمل دانه ولم تنفجر ويجري بها بعيدا ويصيح : به.. به..يابوي ، أنا عبد الراضي "..
ويتمتم مخاطبا الطيار اليهودي فـــي السماء ليفهمه ان الوقود لن يحترق، عبد الراضي يتحدث عن الحرب التي لـم تأت ، وهكذا تحت قصف القذائف المتراشقة من الضفتين وفي الخندق نعيش مـــع الشخصيات العسكرية لرواية (الحب يأتي مصادفة) ما بين الظلمة والثرثرة ، والانتظار والفكاهة ، وأكل زوادة حامد الشيمي .

وحتى تلك الفرحة التي شملت أشرف وحامد وبقية المجموعة التي قامت باداء مهمة على ضفة القناة الشرقية (النقيب اسلام والملازم عبد الرحمن واسماعيـل ومحمود وبكر وحامد الشيمي) لقد عادت هذه المجموعة وهي تحمل جثة محمـود ، وبكر جريحا ، بعد هذه العودة يقـول حامد الشيمي في ص ٦٥ :
لقد أصبحنا على الشاطىء الغربي ثانية ، كل شيء مكسور مشروخ .. ولكن شيئا ما يوحي بأن الكسر والشرخ الى زوال).

عودة الى ليالي الخندق والتراشق المدفعي (والحديث في ليالي الخندق يكاد يكون السلوى الوحيدة التـــي نعتمدها ولا نفرط فيها بثمن وتكـون كارثة حين يتخاصم اثنان فلا يتكلمـان او يتناجيان) ..

عادت المجموعة ومعها (يوشع) اسيرا يهوديا عربيا ويجري حوار ساخن ومدهش وصريح بين الاسير والمجموعـة ونستشف من خلاله تفسير الصراع الدائـر بين العرب واليهود ونوايا اسرائيل الخبيثة ، وتفسيرات اولئك لمثل هـذا الصراع ، وقد تضمن الفصل الثالث عشر تصريحات بمنتهى الخطورة وتصحيحـات لمفاهيم كانت سائدة حتى جلتها النكسة الحزيرانية والسنوات التي تلتها .

ها هو أشرف ذلك الذي كان قلقـا متشائما ذاتيا فانقلب بعد عملية عبور القناة وضرب ملجأ العدو يهدر قائـلا ومجيبا على اتهام حامد : اولا لسـت متشائما جدا كما تقول ،ولم آخذ المسائل على النحو الذي تحدثت به وانما قصدت أننا نعاني من شيء وما يجعلنـا او جعلنا نسير في محلك سر " هل تستطيع ان تفسر لي سر هزائمنا الثلاث في اعـوام ٤٨ - ٥٦ - ٦٧ ؟
....
....
- أشرف .. جدران الخندق لها آذان ..

وبسرعة يغلفها الاندفاع واللامبالاة
- لا أخشى شيئا .. ماعدت أخاف ..
ويفاجأ العسكريون هؤلاء باجازة طويلـة لذويهم ، فهيأ حامد الشيمي نفسه للسفر ورغب أشرف على مرافقته "..
ويقوم القاص حامدبتصوير دقيق ورائـع لمحطة القطار وتزاحم العسكريين ، ومـا شاهده من لوحات ناطقة داخل هذ القطار، ويؤكد شوق هؤلاء بالسفر صوب الشرق .

ويعود حامد ينقلنا كبداية القصة الى بيت الخالة حياة مرعي ويعتبـر الفصل تتمة للفصل المتعلق بهذه الكاتبة وينقلنا الى كفر المحاريم وبرفقتـه أشرف هذه المرة ويبدو قد تخلص من حبه (بهدى) التي كانت سبب سوء التفاهم بينه وبين أمه .
ويحرص المؤلف بحسه الدقيق في الواقع المعاش على وصف الجزئيات الصغيرة وكل نقلة على أرض هذا الواقع .
وفي كفر المحاريم حيث الاحتفـــاء بالضيفين ، يكمل من توازن المعادلـة بأن يكشف لنا من خلال حوار أشـبـه بالاعتراف بين حامد وأشرف قال أشرف :
.. وأني لأحمد الله هنا -
اقصد خارج الخندق - أستمع الى مايقول روجرز وينفذ المسؤولون اقتراحه بوقف النار .. هل يئس الناس من الجهاد ؟.. لماذا يخافون ؟ لماذا ؟

وفي كفر المحاريم ايضا ينشغـل حامد بحل ومعالجة القضايا والمشكلات ، كم هي نقية أعماق حامد وكم هو مثالـي واقعي .. الغالب ان الرجل ينشغـل باللهو والتفاهة اثناء القيـام بمسؤولياته الجسيمة ، الا هذا النـوع الذي ينشغل بالمسؤوليات الجسيمة فـي وقت الاستجمام والراحة والاجازة ويغوص القاص حامد بتصوير المفاسد الاجتماعية في القرية من خلال حملات الترشيـح والانتخابات بشأن الجمعية التعاونيـة الزراعية هناك في كفر المحاريم، آل المندلاوي الذين يخشون من سقوط مرشحهم

الذي له رصيد من الكراهية في نفوس آهل القرية ، وبرز في الساحة منافس من آل عرام وابراهيم عرام دخل بأمر عائلته حتى لا يتركوا مجالا واسعا امام عائلة المندلاوي على الاقل - كما يقول المؤلف - يحافظ على حقوق آل عرام التاريخية .

وأسفر فرز الاصوات على أن يأخذ " المندلاوي " أقل الاصوات ولكن؟ ينكسر فرح الناس فيكفر المحاريم ويخسرون اذ سمعوا هتافات وزغاريد من مويدي ومويدات ، المندلاوي المنتصر ..
ونسمع اشرف يكرر كلمته التي كررها عن حالة " الخندق "
: فما زلنا في " محلك سر .. والذي انتصر ليس المندلاوي وانما هو شيء اخر رهيب : مزيج الخوف والجهل .. وفي كفر المحاريم مثلما يصور اللوحة الاجتماعية فيها ، يزيح حجاب التكتم عن قلب حامد، ويناقشه اشرف في امر حبه لزينب ، ولكن حامد يتجاهل او يتغابى اولايريد ان يعلم بحبه أحد ، رغم ان القرية بكاملها تعلم وتعلم قصة حامد وزينب كما تعلم حكاية قيس وليلى .. واما اعماق حامد فهيغارقة في هذا الحب العفيف ، وشعرت بأن سؤال أشرف لحامد :
- لم أكن أعرف أنك غارق في الحب حتى أذنيك ، مصادفة أحببت هدى .. فهل أحببت زينب مصادفة ؟ "

ان جاء معبرا عن حالة اشرف النفسية فهو لا يطابق مقتضيات الواقع الذي ولد فيه حب حامد لزينب ، وهذا ما جعل القاص القاعود يمعن في الحلم - المغالطة ويطلق هذه العبارة عنوانا لهذه القصة الطويلة ويبدو ان القاص القاعود ترك لشخصياته ان تعبر عن مكنوناتها تبعا للصدق وللحالة المنفعلة المعاشة ولم يرسم لها مخططا ،ولامنهجا يستر ضمن شروط خارجية ..
فأشرف الذي اعترف بعدم مفارقته الخندق وايثاره عن المدينة وضخبها ومواجعها ها هو بعد عودته من اجازته التي امضاها مع حامد الشيمي في كفر المحاريم يقول :
كنت أتمنى ان تمتد عاما بأكمله (يقصد الاجازة) لم أشعر بالزمن هناك ابدا ، ولكني هنا أشعر بالثواني اعواما بل قرونا تمر ثقيلة على قلبي كالجبال الراسخة لا تريد ان تنخلع من مكانها آه يا كفر المحاريم "..

وفي الصفحات الاخيرة من (الحب يأتي مصادفة) تجلى حب زينب لحامد ، فانبعث قويا ، رقيقا ، يجعل من حامد يفيض في اعترافاته ونجاواه ، خليط من حب الارض وحب القلب ، ولا شيء غير الصمت وغير الانتظار البعيد ولأول مرة .. يبكي الرجل ، يبكي حامد ، وما يبكي فيه الا وجدانه الذي تجلد أمامه زمنا ، فغاص في حديثه الاليم وهو يتذكر في حالة اندمج فيها الذات بالموضوع ، أمه ومنصور (اخاه) والمندلاوي وعرام وخالته حياة كما ازداد كرهه لـ هدى وأحس بخوف شديد على زينب لم يسبق له مثيل ..

ويعود المؤلف حلمي القاعود يؤكد ان ما مضى من صفحات هو ما تركه حامد الشيمي في كراسه واحدة لم يكملها .

وللوفاء لحامد الشيمي وللطريقة الوثائقية الواقعية أتبع هذه الاوراق بأوراق رسائل وأوراق مدون عليها كلام أدبي وهذه الرسائل يثبتها بحذافيرها في آخر الرواية .. وذلك بعد ان فارق صاحبها حامد الشيمي الحياة ، بعد ان مات ميتة مفجعة ، اهتز لها الاصدقاء زملاء الخدمة العسكرية واهتزت لها كفر المحاريم وهي تودع جنازة حامد .. حامد ابن كفر المحاريم ، الى القبر ضحية ظروف معقدة ، موضوعية وذاتية ، بالصمت مات ، وهو الذي كان ينتظر دمدمة الرعد ينتظر الحرب التي تخرق الصمت وتلغي الانتظار المرير ..

ونقرأ رسالة واحدة من زينب ، ورسالة من أخيه منصور الشيمي ، وثمة مختارات نثرية وشعرية ذات مدلولات سياسية انتقادية ، ودينية يفوض في المرء امره الى الله، بعد ان بلغ السيل الزبى ، وبلغ الصبر حدا لا يطاق كما يعثر بين أوراق حامد على رسالة موجهة الى زينب لم تكتمل .. لعل حياءه او حرصه على الكتمان منعاه من ارسالها .. ولكن كيف تجرأت زينب وأرسلت رسالة عادية ؟

وبعد وقوف الرواية عند موت حامد أتصور ان المسار الفني للرواية قد انتهى ، رغم ان القاص القاعود ، يتبع هذا القسم بما حدث قبل حرب تشرين - رمضان - من احداث على جميع الاصعدة ، ويصور كوثيقة تاريخية عبور قناة السويس

تحقق حلم حامد الشيمي الذي مات من أجله ..

واما زينب ، فقد خرجت من مأساتها التي هدمت كيانها النفسي ودرجت الى قبر حامد ، لتحييه بطلا ، وتناجيه ويسجل لنا القاص القاعود صورة او حوارية من طرف واحد هيعلى قدر كبير من التأسي والرومانسية

- كلهم بخير .. المهم أنت

- ....

- ودائما نتمنى ان تكون كذلك ، فرحان ريان..

- ....

- سوف يعود محمود سوف يعود لأنهم في عتليت لا يسمحون لأحد بالاتصال مع الاخرين.

- ......

*

ومحمود هذا صديق حامد ، الذي أسر من قبل القوات الاسرائيلية اثناء نكسة حزيران ٦٧ ، وعم رضوان هذا الصامت المتجلد ، هذا الوالد المنتظر الذي لم ينم ليلة الحرب ولا بعدها .. ذهب الى المأمور ليقول له : خذني أقاتل .، علموني أقاتل ، دعوني أذهب لأرجع بولدي .. خذوني ..

ورجع .. وعندما آن الاوان ليتوضأ كل الناس ويتطهرون ويقيمون الصلاة .. راح يهتف في فرح : محمود سيأتي .. سيأتي .. سيعود .. ؟ ؟ ..

*

الشخصيتان الاسير والاب يأخذان في قصة رائحة الحليب لحلمي القاعود وهي أصل (الحب يأتي مصادفة) دورا هاما في تصاعد ونجاح القصة ، يعود محمود ويموت حامد ، اما في وضعها النهائي محمود يبقى أسيرا وهذا مدلول يأخذ بعدا مضمونيا في (الحب يأتي مصادفة) ولا أدري كيف أراد القاص القاعود ان يجعلنهاية روايته كنهاية الافلام العربية فحين لم يكتب لحامد من زواج زينب ، فانزينب وافقت بعد جهد - على الزواجمن اشرف الصعيدي المهندس ، ولعل القاعود اراد ان يرمز لزينب بمصر كما سبقه الى ذلك القاص المعروف نجيب محفوظ في ميرامارا او ثرثرة فوق النيل ، بتلك الفتاة القروية الجميلة البسيطة الحزينة الصابرة ..

وأراد ان يقول : ان غاب مجاهد ومغرم في سبيل زينب الرمز، هنا مجاهد آخر يرعاها ويحميها ليعمل على اطلاق اسر محمود وغير محمود ؟

وبذلك تكون (الحب يأتي مصادفة) رواية تحقق نجاحا بعيدا للادب الواقعي والوثائق ، والى أدب الصدق ، والجرأة وقول ما لايقال . بتهذيب في المضمون ، وسلاسة في السرد والتحليل والنجاوى الذاتية الجماعية ، والحوارات المشوقة بين شخصيات واقعية ومثالية ، مؤمنة بالله ومؤمنة بالجهاد والعطاء الى حد الشهادة وكأن القاص القاعود اراد ان يقول بأن على ايدي هؤلاء سيتم التحرير الكبير .. والحب في أعماقهم متأصل متفتح .. وقديم ..

عرض : مصطفى النجار

---

* حذار أن ترفض لأمرأتك نصيحتها الاولى ، وحذار أن تقبل نصيحتها الثانية .

مثل انكليزي

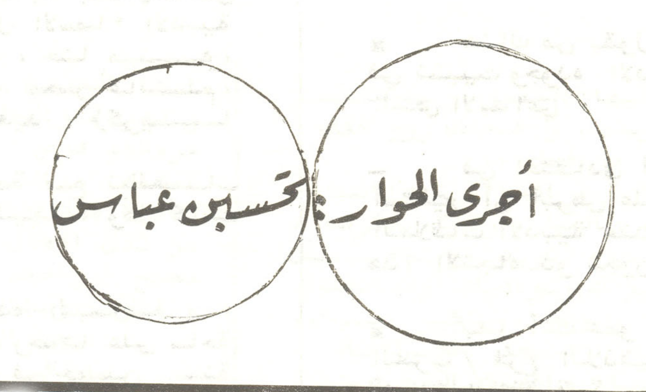
* البيت الذي تزاول فيه الدجاجة عمل الديك ، يصير الى الخراب

مثل صيني

* المغفرة تدفىء قلوبنا كما تدفىء النار أجسامنا .

فولتير

لقاء مع الأديب محسن غانم





* ما هي السمات البارزة لأدب اللاذقية في رأيك ؟

- أدب اللاذقية جزء من أدب القطر العربي السوري ، ومن حركة الادب العربي عامة ليست له مواصفات ومقاييس خاصة به تجعله ينفرد عن أدب حلب او دمشق او عمان او تونس الا اذا أردنا بذلك الخصوصية المكانية ، فالوطن ، العربي يتألف من مناطق وأقاليم قد لاتتطابق مفرداتها الجزئية بالضرورة ، ومن هنا أستطيع أن أقول أن الادب في الساحل العربي السوري تبرز فيه سمات مكانية أولها صورة البحر وثانيها صور الطبيعة الساحلية المتوشحة بالخضرة وألوان قوس قزح ، وفي كتابات أدباء الساحل مسحة من خيال محلق ، وضروب من الرومانسية المتكئة على جمال المحيط الجغرافي .

* هناك من يقول ان الناقد موظف اعلامي فقط ، هذا الامر ألغى دور الناقد كقائد فكري في المجتمع ، فالام تعزي هذه المسألة ؟ ما رأيك ؟

- كثير هو القول في النقد والناقد بعضهم نفى عن النقد وظيفته الادبية والجمالية والابداعية ، وآخرون اعتبروه فنا ، او علما اومزيجا من علم وفن ، كل هذه الاقوال لا تصمد امام الواقع فالنقد فن وعلم ثبتت أقدامه في تربة الادب قبل أن يكون للاعلام هذا الدور الطاغي في عصرنا الحاضر ، وليس ثمة من ينكر دور النقد والناقد كجنس أدبي فيه ابداع وعلم ، ان النقد يوجه العمل الابداعي ويكمله ، وليس صحيحا انه طفيلي يعيش على دماء الفنون الادبية الاخرى ، ومن يغمط دور النقد في رسم الصورة الثقافية والادبية عامة ما هو الا مكابر او مغرور .

* أرجو ان تكون الاجابة بمنتهى الصراحة والموضوعية حول الاسماء الادبية التالية : هاني الراهب ، حنا مينه ، زهير جبور ، محسن يوسف، محسن غانم ، عبد الله عبد ، ناشد سعيد ، زكريا شريقي ، رياض نصور .
هل كانت كتاباتهم منسجمة مع تطلعات الجماهير التي كتبوا اليها ؟ وهل كانت منسجمة مع مبادئهم ؟

- المسألة ليست بهذه البساطة ، والاسماء المذكورة ليست وحدها على ساحة المشهد الثقافي والادبي في "خمسين سنة الاخيرة ، واذا ما حصرت الاجابة عن الادباء المذكورين ، فجوابي هو : نعم ، فهؤلاء وغيرهم طليعة ، تزامنت ابداعاتهم مع نهوض جماهيري عربي متصاعد ، .. ولا أستطيع ان أزعم بأنه لم يكن للادب دور اساسي في ذلك النهوض ،وما نتحدث به عن اللاذقية او الساحل العربي السوري ينسحب بشكل او بآخر على كل تراب الوطن العربي .

* ما هي أسباب تأخر القصة عن الشعر في رأيك كقاص ؟

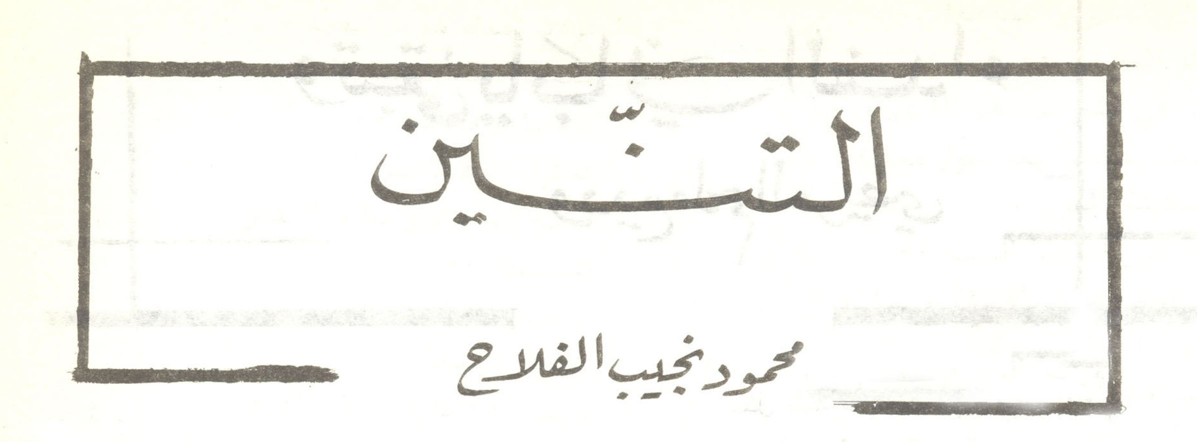
- يخيل الى أن السؤال جاء مقلوبا وليعذرني المسائل ، فأنا أفهم ان الشعر ظل ديوان العرب حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، بل وحتى الحرب العالمية الثانية ، أما منذ أربعينات هذا القرن وانتشار الصحف والمجلات ، وانتشار المطبوعات فقد برز فن جديد سيطر على الساحة الادبية والصحفية هو فن " القصة القصيرة " ولأسباب متداخلة تراجع الشعر امام القصة القصيرة ، وحتى الان - في اعتقادي - لا يواكبها ، ولا يجاريها قدرة على تمثل هموم الحياة المعاصرة ، ولا يلحق بها وسيلة للتعبير عن أزمات الانسان المعاصر ، فالقصة القصيرة وليدة المجتمعات المتفجرة المتطلعة ، وبنت شرعية للصراعات الاقتصادية والاجتماعية ، وليس الشعر كذلك ، ان القصة غير متأخرة عن الشعر وان نظرة سريعة الى قوائم أسماء المطبوعات التي تصدرها دور النشر الخاصة والعامة في سورية والوطن العربي لا تعطي حكما بأن القصة مقصرة أو متأخرة وانما هي فن صاعد متنام متطور قادر على استيعاب الحياة المعقدة المعاصرة وان المستقبل لهذا الفن .

* هناك من يقول : " بعضهم يعتمد في تثبيت وجوده الادبي على قوى من خارج النص الابداعي "

- في اعتقادي ان القول صحيح ، ولا أستطيع أن أبرهن على مثالية ونظافة العلاقات الادبية عندنا ، والحديث في هذا الاتجاه ذو شجون .

* بما أنك عضو في اتحاد الكتاب العرب / فرع اللاذقية / ماذا قدم الاتحاد لأدباء اللاذقية ؟

- اتحاد الكتاب العرب منظمة شعبية ونقابية ، لمت شمل الكتاب ، ورفعت من شأنهم معنويا ، وتحاول جاهدة ان تقدم لهم الخدمات على مستويات مختلفة ويسرت لهم نشر بعض أعمالهم ، كما وفرت لجمهور المثقفين والقراء مطبوعات حافظت على مستوى فني جيد وبأسعار جماهيرية ، ان خدمات اتحاد الكتاب العرب لأعضائه لا تقاس بما يناله فرد واحد منهم ، او بما يطلبه هذا الاديب او ذاك من موقعه الشخصي الذاتي، واننا من النظرة الشمولية العامة لهذه المنظمة لقد خطى الاتحاد خطوات ثابتة في اتجاه بلورة شخصية الاديب ، ومهد له طريق التميز والابداع ، وينبغي ان لا ننسى ان الاتحاد ليس نقابة فحسب ، وأغراضه ونضالاته ليست مطلبية فقط ، وانما هو منظمة شعبية جماهيرية له أهداف سياسية واجتماعية وفنية وادبية اوسع افقا وأبعد مدى .



سنقهرك أيها التنين ، سننتصر مهما تعددت رؤوسك ، وأجنحتك وزواحفك ، مهما نفثت نارا من فمك ..
لن تنسى جياعنا ، عراتنا ، شهدائنا ، كل شيء سرقته ، مالنا ، أرضنا ،فكرنا ، مسخت كل شيء فينا ، تريد أن تجعل منا خدما في بيوتك ونواديك ،ومصانعك ، ومطاعمك ومراكز بحوثك ، لتكبر أنت ،، لتتعلم ، لتترفه ، لتسعد أطفالك ، لتصل أعالي السماء وأعماق البحار ، لتفجر ذرة ، لتملك قوة ، وبغرور تريد أن تجعل من نفسك الها لا ينقصك الا الخلود .. وسماء تجعل عرشك فيها ، بجوع أطفالنا ، بسرقة أقوالنا واحتلال أرضنا ..

كل شيء قد نهبته ، واكثر من ذلك تسخر منا ، تصورنا لاطفالك بأننا لا نستحق الحياة ، سننتقم أيها التنين ستنتصر الشعوب ، مهما طال الزمن ..

بالامس كنت انسانا تنادي بحرية الانسان والشعوب ، بالعدالة والمبادىء المثلى ، كل ذلك قد نسيته ، وتحولت من انسان الى تنين تلتهم كل شيء الى لص كبير يسرق الامم الى مجرم يسفك الدماء ، يهدم البيوت والمدن ، يتلذذ بقتل الاطفال والنساء والشيوخ وتعذيب الرجال وهدم صرح الانسانية ..
لن نخافك ، الايام تسير ، والعصور تسرع الخطى ، ايها التنين ، ان أنين الاطفال ، والحياة والعراة والحفاة ، والاميين الذين حرمتهم فرص العلم والابداع ، وأرواح الشهداء والشرفاء ، وكل الذين يتجرعون كأس آلامك يتململون في زوايا القبور من ثقل الامال التي لم يتح لهم تحقيقها تصيح ارواحهم وتنادي : سينتقم اطفالنا ونساؤنا وشبابنا وشيوخنا ..
ايها التنين ..
ان في البحر امواجا صاخبة ..
ان في الجو رياحا عاتية ، ستتحطم سفينتك ، ستتفتت قوتك . انا متفائل ايها التنين بقهرك والتغلب عليك لأننا تغلبنا على نفوسنا وشهواتنا ..

ان اليقظة الحرجة آتية لا ريب فيها ، وأن الشعرة التي ستقصم ظهر البعير قد آن أوانها وحان غدها ، وما كان الغد الا قريبا ..

سنفرح عند ذلك وتتعالى زغاريدنا وأبواقنا ، ومزاميرنا ، ودفوفنا ، ونايا ، سترقص كل الشعوب المظلومة فرحة مرحة وسترقص معها كل النجوم والشمس والقمر ، سننثر الزهور امام باعثي الحرية ، باعثي العدالة ، صانعي هذا النصر العظيم ..

محمودنجيب الفلاح

وتبقى يا باني الفداء

وديع ملحم العريضي

ـ ١ ـ

جراح امتي في اعماقي نزف متدفق ••
وصوتك الهادر من اعماق الجلجلة
يدمل الجرح الغزير
وعبث المتربعين في أقبية الليل ،
يناقشون القضية في احضان الغانيات ••
يصير مداسا ،
لحذائك المغبر بدخان البارود ••

*

فجرت كلمتك ••
صارت القرار المقدس من فم نبي ••
صارت الشعلة المضيئة أبدا ••
لن يعرف دربك بعدها الظلام ••

*

زوبع قرارك ••
أحرق جميع قرارات المرابع ••
أحرق قرارات الانهزام ••
وكل تجار القضية ••
أزلت من القواميس سطور العودة الى الوراء ••

*

ـ ٢ ـ

قلبي على نافذتي
يحمل اعماق خاطرة عينيك ••
ينتظر وحيدا ••
مثل متشرد تائه دون قرار ••
ينتظر تباشير فرحة النصر ،
آتيا عملاقا محمولا ،
على شامخ هامتك الماردة ••

*

قلبي على نافذتي
يرف بعيدا الى ملتقاك الاتي ••
يرقب غزل العصافير الناعم بنشوة السلام •
وسكينة الاغصان الخضراء الصامدة ••
من عبث اقدام همجيتهم ••

*

ـ ٣ ـ

أيها الحبيب الاتي ••
محمولا على أجنحة النسمات ،
مثل عطر اودية الربيع
مثل نغمات الثلج السارحة
في اعالي جبال بلادي
تحمل انشودة السلام
معزوفة غزل خالدة على اوتار قلبك ••

*

أيها الحبيب الاتي مع نسيم الفجر ••
تحف به روحك ••
تحف بالجبال والوديان والغابات ••

بالسهول والانهر والمنعطفات ..
بشبابيك المدينة ..
الغارقة في عشق منتصف الليل ..
استعادت بهجتها بعد طول معاناة ..
تحف بسكينة القرى ،
الغافية على أجنحة الحب ..
وأحلام العذارى تحبك شالا ورديا ،
لفرسانهن ..
الممتطين صهوات جيادهم المطهمة ..

*

أيها الحبيب الخالد ..
ترى الجبال والوديان والغابات ..
السهول والانهر والمنعطفات
المدن والقرى والنسمات ،
العصافير .. والعاشقين .. وجميع الكائنات ..
تنشد لك جميعها انشودة مباركة ..

تردد اسمك مع كل بهجة فرح ..
تحملك نفحة دائمة الطيب ..
عرفانا بأفضالك ..
تذكرك بعظمة نبي ،
صانع لها بشرى سلام النفس ..
تسبحك ..
تنحني ..
تمجد اسـمك ..
وتبقى .. ياباني الفداء ..
أنت .. أيها السيد الشهيد الاختياري
الصانع من ذاك لأمتنا ..
أطيب فطيرة انتصار

وديع ملحم العريضي

منكرات

أحمد أسعد الحارة

هو يوم الشفاء رغم سقامي
يوم كنا ، نسيت مايوم كنا
كالشياطين ، انما نتعاطى
بحرام وليس غير حلال
بسلام ، وابن مني حبيبتي

يوم كنا نصوغ فن الغرام
مر ذاك القديم كالاحلام
منكرات تفيدن بالاسلام
وحلال ليس غير حرام
مر طيف الحبيب دون سلام

هل تشبع النار من قش ومن حطب ؟

شعر

عبد الرحمن عبد الكريم خطاب

أفرغت كأسي في بحر من الدأب   حينا مع الناس أو حينا مع الكتب
مستقصيا حكمة الازمان أجمعها   من سالف الدهر والتاريخ والحقب
من بيئة الغابة العذراء من شجر   يسمو على الغيم او من طحلب الترب
من شاطىء البحرين أصداف لؤلئه   من موجه في ليالي الصحو والصخب
واحسرتاه ،لقد ألفيت أغنية   وقفا لكل قوي دائم الغلب
وما رأيت سوى الاوهام ثابتة   على رؤوس الربى فاستغرقت عجبي
سألت صائغ تبر ، كيف تجمعه ؟   بأي قانون ؟ هل بالعرض والطلب ؟
أم بالمهارة ؟ ما أسلوبها؟ فلقد   غمرت قارون بالياقوت والذهب
أجاب في نبرة المخمور : أنت فتى   غر ،تشكك في جهدي ؟ أأنت صبي ؟
دعني فللتبر أسرار اذا كشفت   تغدو عذوي ، اسراري بها حسبي
وقال مستطردا : لا تنس يا ولدي   ليس الوضوح دليل الوعي و الادب
كن غامضا دائما ،واضحك مجاملة   وابك مداهنة تصبح شبيه نبي
ان شئت امرا فسخر كل خادمة   سوداء ، بيضاء ، لا تخجل ولا تهب
وليس عيبا اذا ماكان مبتعدا   تبرير نائية ، بالحصرم الحلبي
هل تعرف الخمرة الحمراء كم سفحت   على الموائد في الحانات بالقرب؟
وزارع الكرمة المسكين جانيها   لم يلمح الخمر ، بل امسى بلاعنب
وأردف الصائغ المكار في نغم   يشفف القلب من حزن ومن غضب
الناس كالنار حسب المرء تدفئة   بها ، وان يدن كان الموت في اللهب
لن يشبع الناس مهما كدسوا ذهبا   هل تشبع النار من قش ومن حطب ؟
وما القناعات في هذا الزمان سوى   لون من الافك والتضليل والكذب
لو كان في مكنة الانسان ان يدني   له الكواكب ملكا ظل في سغب.

هنا تأكدت اني قرب مطلع   لقمان في العقل ،بل هامان في اللعب
فقلت : ياصاح ماهذا الزمان ؟ارى   فيه الحقيقة قد آلت الى النوب ؟
والحق باد كضوء الشمس هل خفيت   حقيقة والشمس لم تغب
ان قيل : هذاحمار لا أصدقهم   ان بان للعين مخلوقا بلا ذنب
عد للزمان وسامره تر عبرا   تسمم النفس ، أصنافا من الشعب
الكادحون على أكتافهم نهضت   كل الصروح ، وقد فاءوا الى القبب
يحوقلون وعين الله تحرسهم   اما القصور فقد آوت ابا لهب
ان الثعابين قد تغري نعومتها   ذوق البسيطة ،وتستهويه باللقب
حتى اذا اقتربت منه ولامسها   ردت نعومتها سما على الطلب
كل القوانين في الدنيا اذا سئلت   من صانعوك ؟ ومن حاصرت عن كثب ؟
تجيب : النخبة الزرقاء قد خلقت   سلاسل القيد للمغموم ، للترب
فأرخميدس قد أرسى مبادئه   في الطفو ،كي يجعل الانسان كالخشب
يرسو النضار بعمق الماء مختنقا   ويظهر الحجر الخفان كالشهب
صوت الطبول عنيف قادر أبدا   أن يصمت اللحن في الاوتار والقصب
انظر فصدري مكدود به رمم   وكتلة غلفت بالوهن والوصب
هذي الحقيقة سامحني اذا ظهرت   مسودة الوجه او معوجة النسب
أذوب كالشمع ،لا ..بل ذبت لاحدا   يدري بحالي ، ماذنبي ؟ بلا سبب
ماذا حصدت بعشرين مضت ألما   بين المقاعد ؟ جاوبني فلم يجب
كأن قصيدي ماأرضاه اذ لمحت   عيوني الغدر في عينيه كالحرب
فغدت بيتي والكابوس مضجع   على فؤادي واستسلمت للريب
رأيت أشباح أطفال وصابرة   من ذعرهم هرعوا جريا على الركب
وصاحت الام والدمعات قد زحفت   على الخدود عناقيدا من العطب
كفرت بالناس والاخلاق مردفة   ستدخل السجن أجر الصدق مثل ابي
الصائغ النذل لم تعرف بأن له   سجنا ومحكمة بالمال والذهب
فقلت : يازوجتي ما دام حافظنا   يمحو بكفيه مافي الكون من سحب
لن أدخل السجن اني ذاهب ليروا   اني على العهد بعثي ،خذوا نسبي

في رحاب الأدب السعودي

إعداد : تميم الحكيم

شاعر وأبيات :

(حسين سرحان) : احد أقطاب الشعر السعودي المعاصر ، وأحد الاصوات الاكثر أصالة في الجزيرة العربية ..

ولهذا الشاعر الكبير عدة ملامح ، تميزه عن الشعراء الاخرين ، ومن أهمها :

١ - انه شاعر مطبوع يقول الشعر على سجيته ، ويعينه على ذلك انه ينحدر من قبيلة (بني سعد) بطن من (هوازن) القيسية الحضرية العدنانية .

٢ - يجمع السرحان الى جانب السليقة السليمة ، الثقافة الغنية ، واللغة الثرية ، والخيال الواسع ، والحس المرهف.

٣ - وهو محافظ في أسلوبه ، غير محافظ في موضوعه ، .

٤ - كما أنه من أصدق الشعراء تعبيرا عن نفسه واحساسه .

٥ - ولقصائد السرحان طابع خاص ولون مميز ، مما يعين الى الاهتداء اليها ، حتى ولو لم يذكر اسمه عليها .

٦ - وقد عانى شاعر مكة الشيخ ، في حياته الكثير ، مما كان له في شعره اكبر التأثير .

٧ - ودفعه احساسه الرقيق وتجربته القاسية ، وتواضعه الجم الى العزلة عن الناس والجمهور ، والنفور من الشهرة وحب الظهور .

٨ - ورغم انكفاء الشاعر السرحان على نفسه ، وهو لم يتجاوز الثلاثين فانه لم يقدم لمكتبة الشعر العربي خلال ما يقرب الخمسين من السنين ، سوى ثلاثة من الدواوين ، ايمانا منه بأن قيمة الشاعر ليس بكثرة انتاجه ، وانما بنوع عطائه .

٩ - ونلاحظ في دواوينه اختفاء شعر المناسبات ، وفقدان أصوات النفاق الزائفات ، لتظهرمكانها شكواه للطبيعة ويأسه من الحياة وتجربته الحكيمة ، وبحثه عن الذكريات الهاربات ، وانتظاره الملهوف لملك الممات .

١٠ - وللشاعر مقالات في النثر ، هي في شكلها أقرب للشعر ، وفي مضامينها أعمق من بحر .

*

ومن أبياته المختارة ، قوله في قصيدة (الطائر الغريب) :

صدح الطير لحظة فوق أغصا
ن لدان وقال قولا عجيبا
قال يا ليتني تلبثت في الرو
ض وحولته فضاء رحيبا
أنا في ذلك المقام الذي احيا
به طائرا غريبا مريبا
حركاتي مرموقة تبعث الشبهة
حولي وتستثير الرقيبا
واذا رجع الصدى نغمي الحلو
ترامي به هزيلا كئيبا

ويمل السرحان من طول حياته ، وهو مازال في الثلاثين فيقول :

ثلاثون عاما ، يا لطول بقائيا
وبالمقامي فارغ النفس ثاويا
تعاظمتها لا أستزيد بها الهوى
وأهدرتها أيامها والليالي
وأوسعتها جدا ولهوا وحكمة
وجهلا وتذكارا لها وتناسيا
فان أك حيا في حساب زمانها
فقد كنت في معنى الحقيقة فانيا
وماجدول الاعوام لو شئت ضمه
الى بعضه في العمر الا ثوانيا

ولعل تلهف شاعرنا للموت جاء وليدا لاحساسه المرهف ، وشعوره باضطهاد الحياة ، وذلك ما تمثله ابياته :

أيقنت ان الموت دان
يزجي خطاه بلا توان
متململا فوق الفرا
ش مبرحا مما أعاني
ألمان هم في الفؤا
د يؤججه فرط الضمان
وغدوت منهدة كل شيء
من مكان او زمان

من المكتبة السعودية :

(من رباعياتي) : ديوان شعري للاستاذ محمد سعيد العامودي ، يضم سبعا وسبعين من رباعياته الشعرية .. وهي عبارة عن خواطر موجزة مركزة ، مضغوطة في ابيات موحية لتجلو عبرة مستترة ، او تصور خلجة غامضة .. وقد صدرت الطبعة الاولى من هذا الديوان في محرم عام ١٤٠١ هـ ، تشرين الثاني ١٩٨٠ ، وقدم له الدكتور محمد رجب البيومي ..

– (مواسم الشمس المقبلة) : مجموعة قصصية للاستاذ محمد علي قدس ، تضم قصصا مستوحاة من البيئة المحلية ، حاول الكاتب فيها نقد ومعالجة بعض القضايا الاجتماعية الهامة .. وقد صدر هذا الكتاب عن (تهامة) ويقع في (١٣٧) صفحة .

أخبار أدبية :

– منحت (جامعة شاو) الاميركية بولاية كارولينا الشمالية ، الدكتوراه الفخرية للشاعر الامير عبد الله الفيصل ، تقديرا من الجامعة لاسهاماته في حقل الادب والمجالات الاجتماعية والانسانية .

– تناولت مسرحية (مهر العروسة) التي قدمها (مسرح جامعة ام القرى) في ختام موسمه الثقافي لعام ١٤٠٩ هـ ، تنكر ابناء العربية للغتهم ، وانتشار العامية وشيوع الاخطاء حتى على لسان المتعلمين ، كما وجهت سهام النقد للمتكسبين بالشعر ، ولرمزية القصيدة الحديثة .. وقد لاقت المسرحية نجاحا طيبا .

– يعتزم القاص الدكتور عبد الله باقازي اصدار مجموعة قصصية جديدة ، بعد ان ابتعد عن رئاسة قسم البلاغة والنقد بجامعة ام القرى .. وكان قد صدر للدكتور باقازي مؤخرا مجموعة (الخوف والنهر) عن (دار الصافي للثقافة

والنشر) .

مختارات من أقوالهم :

* الحداثة هي معايشة الواقع والتعبير عنه ، ووضوح الخصائص المميزة لهذا العصر عن العصور السابقة ، وهي لا تعني الغموض او الغرابة) .

د . محمد بن عبد الرحمن الربيع

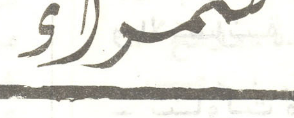
* الشعر موهبة وليس حرفة تكتسب موهبة تصقل بالتجربة الشخصية وبالالم .. بالاحساس بآلام الاخرين وبالكرب .. بكل الادوار ، التي تحيط بحياة الشاعر .. والشاعر لا يهدأ .. لا يهدأ .. اذا تنفس من قضية ، دخل في اخرى .. لا يهدأ اطلاقا .. روح الشاعر كاللهب دائما تحرق وتحترق .. ولا تنطفىء ابدا) ..

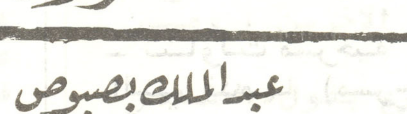
الشاعر يحيى توفيق .

* الشعر العربي هو ذوب النفس وخلاصة التجارب ، واشراقة الحكمة ، وانثيال العاطفة .. فعلاقة العربي به علاقة حميمة ، من خلاله يتنفس ، وعلى اوتاره يعزف وعبر ترانيمه يرحل .

الشاعر الصحفي محمد موسم المفرجي







سمراء لم آنس بغير هواك
أنا كيف لا أبكي وأنت حبيبتي
أهواك لحنا دافئا وقصيدة
أنا يا حبيبة ما نظمت قصيدة
في مقلتيك يسبح الطهر النقي
يكفي لقلبي أن يراك حبيبتي

أنت المرام وليس لي الاك
والقلب يشهد انني أهواك
نوت الحضور الي كي تلقاك
الا لمحت من الندى ريناك
وعلى شفاهك قبلة النساك
وأنا لأجل القلب كنت فداك

*

سمراء حبك لم يزل في خاطري
نورا يسامرني ويؤنس وحدتي
وأظل أحلم باللقاء وطيبه
سمراء انتظر اللقاء بلهفة

نورا يضيء بعتمة الافلاك
فأعيش في ساعاتها ذكراك
يا طيب سحرك والاله حباك
وأموت أحيا بانتظار لقاك

شذرات ثقافية

من المملكة العربية السعودية

مقتطفات من الصحف

التوباد ـ عدد جديد ـ وابداع جديد

صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، المجلة الفصلية الفكرية والثقافية (التوباد) وقد تضمن العددان الاول والثاني من المجلد الثاني، العديد من الدراسات والابداعات الادبية ، تصدرتها كلمة المكتبة لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، ثم دراسة د . حسن الهويمل " مع ابن ادريس في زورق الحلم الجميل " ، و د . حسن قرعاوي " الغربة والحنين في شعر بن عنين ، ود . عبد الوهاب المسري في " المرائي وحب فلسطين " ، ود. محمد صالح الشنطي " رواية الحرب في الادب العربي المعاصر " ، و د . محمد الوزير في " مواجهة الالام والمحن في اجل الحياة في الشعر الابوي " ومحمود قاسم " اسم الوردة " ، وأيضا دراسة احمد متولي " جيمس جويس رائد الرواية التجريبية "

تحدثت للمجلة ايضا نخبة من شباب مصر عن الهموم الحداثية ، شارك في الحوار كل من الشعراء جمال القصاص، ورفعة سلام ، وحلمي سالم ، وضمن المادة الابداعية نقرأ رواية عبد العزيز الصقيعي " البديل " وقصة فرانز كافكا "تعاسة " ترجمة فوزي دسوقي خليفة ، وقصة يوسف المحيميد " البرتقالة " وقصة لحسن علي حسين "وجهان " وقصة منيرة الغدير (ناديا) "المرأة النافورة"

أما نافذة الثقافة العالمية فقد ترجم لها الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ونختار هذا المقطع من المياه العميقة :

تمتد الامواه فتغدو في امتدادها أكثر

دكانة ورتابة

فالبحر في امتداده ونهايته وامتلائه

في غنى عن الزمن ..

وأنا أخوض بمجاديفي الطويلة في الطين

اللزج يخمد حركتها في الوحل

الداكن ..

فتشرد لها ذاكرتي ..

فأذا أجدف بقوة كامنة فيها

في ذاكرتي ..

سائلا عما اذا كانت أنسجتها

خوفا وضياعا

وعندما وصلت بعيدا كانت الموجات

الطويلة مثابرة ودؤوبة ..

(مجلة الجيل ـ العدد ٧٩)

ذو القعدة ١٤٠٩ هـ ـ حزيران ١٩٨٩

وفي العدد نفسه من المجلة العربية :

ثورة الحجارة

للشاعر: سعد البواردي

حجارة .. حجارة .. حجارة

أحلى من المزمار
والقيثارة ،
من زندها توهجت شرارة
ليصطلي بنارها
من تعسه بسوئها أمارة

...

حجارة .. حجارة .. حجارة
أبطالها الاطفال
أطفالها الابطال
من ليس في قاموسهم عبارة
المحال ..
من يرفضون منطق الاذلال
لأنهم قد ولدوا من رحم
الطهارة ..

...

مليون فيل حاقد .. وأبرهة
يخال بيت القدس لقمة :
ما أتفهه وأسفهه ؟ ؟
الطفل يرمي حجرا ..
يرميه والله معه
لن يوقف الكفاح ضده مليون
غارة ..
نيرون .. يا شارون
نيرون .. يا بيغن
نيرون .. يا كوهين
وكلهم نيرون
سوف ترحلون مثلما رحل
على عجل ...
فللفارس الصبي ما أباح
داره ...

....

حجارة .. حجارة .. حجارة ..
تساقطت بروعها كمزنة
مدرارة
تمحو عن الماضي الردىء
عاره ...
مقابر الطغاة في ترابنا دواره
تحفرها سواعد
من صبية الحجاره

